



منصة زادي للتعلم الشرعي المفتوح

الدورة التأسيسية لطالب العلم

مساق: أركان الإيمان

د. أحمد القاضي

مقدمة.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فأهلاً وسهلاً بطلاب منصة زادي في هذا المساق الجديد (أركان الإيمان).

هنيئاً لكم ببشارة رب العالمين وسيد المرسلين، فقد قال الله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقال نبيه ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» [البخاري: 71، مسلم: 1037]. بل إن النبي ﷺ بشر طالب العلم ببشارات عظيمة فقال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» [الترمذي: 2646].

فهنيئاً لكم على هذا الذي أقدمتم عليه، لا سيما باب العلم بالله عز وجل، ومعرفة أركان الإيمان فإنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ فإن الإيمان يقتضي أن يحيط الإنسان علماً بما بعث الله به نبيه محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الصف: 9]، فأما الهدى فهو العلم النافع، وأما دين الحق فهو العمل الصالح، وشرف العلم ينبنى على شرف المعلوم؛ فلما كان الله سبحانه وتعالى أشرف معلوم كان العلم به هو أشرف العلوم على الإطلاق، وهو ما يعرف عند العلماء باسم (علم العقيدة).

والعقيدة إنما سميت بهذا الإسم من العقد وهو الشد والحزم، وذلك أن القلب ينعقد على جملة من المعارف واليقينيات التي يعيش عليها ويموت عليها، ويوافي الله تعالى بها.

لهذا كان هذا العلم من الأهمية بمكان، وقد أمر الله به أمراً مباشراً صريحاً، فقال سبحانه: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وقال نبيه ﷺ لوفد عبد القيس حين سأله قال: «آمركم أن تؤمنوا بالله وحده»، وحين ابتعث معاذاً إلى اليمن قال: «فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله.»

ومادة هذا العلم تتعلق بمفردات الإيمان، وهي الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ثم ما يتبع ذلك من مسائل تفرعت عليها عُرِفَتْ بمجموعها باسم (العقيدة أو الاعتقاد).

والمأمول من طالب العلم كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، أن يُحْضِرَ قلبه وأن يلقى سمعه، وأن يتفاعل مع هذه المادة المهمة التي يحصل بها استنارة عقله، وطمأنينة قلبه.

تم تقسيم هذا المساق إلى أربع وحدات رئيسية، ضمن كل وحدة عدد من الدروس.

الوحدة الأولى: مقدمة تمهيدية عن الإيمان، وفيها ثلاثة دروس.

الوحدة الثانية: الركن الأعظم الإيمان بالله، وفيها ستة دروس.

الوحدة الثالثة: الإيمان بالملائكة والكتب والرسول، وفيها خمسة دروس.

الوحدة الرابعة: الإيمان باليوم الآخر والقدر خيره وشره، وفيها أربعة دروس.

الوحدة الأولى: مقدمة منهجية عن الإيمان.

الدرس الأول من الوحدة الأولى: تعريف الإيمان وحقيقته.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من ثلاثة عناصر.

- العنصر الأول: تعريف الإيمان وحقيقته.
- العنصر الثاني: الإيمان مراتب.
- العنصر الثالث: أسباب زيادة ونقص الإيمان.

العنصر الأول: تعريف الإيمان وحقيقته.

الإيمان اللفظ المحبب الذي يربط العبد بربه سبحانه وتعالى، فإذا أراد الله تعالى أن يتحبب إلى عباده وأوليائه خاطبهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فيُرعِيها المؤمن سمعه. ما الإيمان؟

- الإيمان من حيث اللغة عند كثير من العلماء يعني: التصديق، لكنه عند التحقيق تصديق من نوع خاص؛ إذ أنه مُصَمَّنٌ فيه معنى الائتمان؛ لهذا كان التعريف المطابق والأقرب أن يُعرَّفَ بالإقرار الذي يصحبه قبولٌ ورضا، ويثمر انقيادًا.

- وأما في الاصطلاح، فإن للإيمان تعريفين، تعريف باعتبار مفرداته، وتعريف باعتبار حقيقته. أما تعريفه باعتبار مفرداته: فلن نجد أعظم من تعريف نبينا محمد ﷺ، فلقد ابتعث الله تعالى أفضل رسولٍ ملكي وهو جبريل عليه السلام، إلى أفضل رسولٍ بشريٍّ وهو محمد ﷺ، في حديث طويل جاء فيه قال: أخبرني عن الإيمان. قال: «الإيمان أن تُؤْمِنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر

كله؛ خيرِه وشَرِه » [البخاري: 4777، مسلم: 9]، فعدّ له أركان الإيمان. وأما تعريف الإيمان باعتبار حقيقته: فقد عرفه أهل السنة والجماعة: بأنّه قولٌ باللسان واعتقادٌ بالجنان وعملٌ بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

وبعبارة أخرى، يقولون: الإيمان **قولٌ وعملٌ**. فالإيمان له حقيقة مركبة من القول والعمل. أما القول: فهو قول القلب وقول اللسان. قول القلب: يعني اعتقاده، أي ما ينعقد عليه القلب من المعارف واليقينيات، كاعتقاده بأن الله واحد لا مثل له وأنه أنزل كتبًا، وأرسل رسلًا، وأنه قد أجل الناس ليوم يجازي المحسن فيه على إحسانه، والمسيء على إساءته. وأما قول اللسان: فالمراد به الاستعلان بالشهادتين، بأن ينطق الإنسان بهما مُعلنًا قبوله لهذا الدين.

وأما عمل القلب: فالمراد به ما يتحرك به القلب من النيات والإرادات: كالمحبة والخوف، والرجاء، والتوكل، وما أشبه، فهذه أعمالٌ قلبية. وأما عمل اللسان: فهو ما زاد على مجرد الاستعلان بالشهادتين من العبادات القولية كالذكر من تحميد وتهليل وتكبير، وتلاوة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعموم الكلم الطيب. وأما عمل الجوارح: فهو ما تتحرك به الجوارح من الطاعات من طوافٍ وسعي، ورعي جمار، وإمالة الأذى عن الطريق، وإعانة المحتاج، وغير ذلك من الأعمال البدنية. فتبين بهذا أن الإيمان محيطٌ بجميع أمور الحياة، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: 162].

العنصر الثاني: الإيمان مراتب.

وينبغي أن نعلم أن الإيمان درجات ومرتبات، وأن أهله متفاضلون فيه، كما قال ربنا عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ﴾ [فاطر: 32].

فلهذا كان الإيمان يزيد وينقص، وقد ذكر الله تعالى مسألة الزيادة في نحو سبعة مواضع من كتابه، منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2].

فالإيمان يزيد بأسباب، ويتنقص بأسباب أخرى. والإيمان يزداد بالعمل؛ بل إن العمل من أعظم أسباب زيادة الإيمان. ثم إن الإيمان إذا زاد أدى ذلك أيضًا إلى استثارة النفس للعمل الصالح كما قال ربنا سبحانه وبحمده: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17]، فبين الإيمان وبين العمل ارتباط وثيق؛ بل هو جزء مسمّاه، فلا انفكاك بين الإيمان والعمل.

وبهذا يتبين صواب مذهب أهل السنة والجماعة، في اعتبار العمل جزئياً مسمّى الإيمان، خلافاً لمن أخرجه عنه من أصناف المرجئة، الذين يُخرجون العمل عن مسمى الإيمان.

والله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً؛ خالصاً: أي لوجهه الكريم لا شرك فيه ولا رياء، وصواباً: أي موافقاً لهدي نبيه ﷺ.

وبالتالي فإن الإيمان شرط لقبول العمل، فإذا نُزع الإيمان من العمل لم يكن نافعا لصاحبه، كما قال ربنا عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

العنصر الثالث: أسباب زيادة ونقص الإيمان.

والإيمان له أسبابٌ تزيده، وله أسبابٌ تنقصه. فمن أعظم أسباب زيادة الإيمان:

- التفكير في كتاب الله المفتوح في خلق السموات والأرض، ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101]. فمن سَرَّحَ طرفه في ملكوت السموات والأرض ازداد إيمانه؛ ولهذا نهى الله تعالى على المشركين بلادة أذهانهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا

نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿ [النبا: 6: 16]. وقال مُسْتَحِثًّا لَهُمْ عَلَى التَّفَكُّرِ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: 58-59]، ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: 63-64]، ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة: 68-69]، ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: 71-72].

- التفكير في كتاب الله المقروء وهو القرآن العظيم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، فَمَنْ تَدَبَّرَ كِتَابَ اللَّهِ اِمْتَلَأَ قَلْبُهُ إِيمَانًا، وَيقينًا واعتقادًا في صحة ما أنزل فيه.

- الاستغراق في العمل الصالح، «الإيمانُ بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستون، شُعبَةٌ، فأفضلُها قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ، والحياءُ شُعبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» [مسلم: 35].

- ترك المعصية، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وألقى في قلبه حلاوة، يجدها في قلبه.

ثُمَّ إِنْ أَضْدَادَ هَذِهِ الْأَسْبَابُ تُنْقِصُ الْإِيمَانَ، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، نَقَصَ إِيْمَانَهُ بِقَدْرِ إِعْرَاضِهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا، نَقَصَ إِيْمَانَهُ بِقَدْرِ إِعْرَاضِهِ.

كَمَا أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ انْتَلَمَ إِيْمَانُهُ بِقَدْرِ تَرْكِهِ، وَينْقُصُ بِتَرْكِ الْوَاجِبِ أَعْظَمَ مِنْ نَقْصِهِ بِتَرْكِ الْمُسْتَحَبِّ، وَمَنْ غَشَى الْمَعَاصِيَ وَارْتَكَبَهَا نَقَصَ إِيْمَانَهُ كَذَلِكَ. كَمَا قَالَ نَبِينَا ﷺ: «لَا يَزِينِي الرَّأْيُ حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» [البخاري: 2475].

الدرس الثاني من الوحدة الأولى: ثمرات الإيمان.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من تمهيد وستة عناصر.

- العنصر الأول: الطمأنينة والسعادة.
- العنصر الثاني: الأمن في الدنيا والآخرة.
- العنصر الثالث: لذة الطاعة.
- العنصر الرابع: استغفار الملائكة للمؤمنين.
- العنصر الخامس: الإيمان حصن حصين.
- العنصر السادس: الإيمان مناعة طبيعية.

تمهيد.

سنتفياً في ظل هذه الشجرة الوارفة قال ربنا عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 24-25]. إن هذه الشجرة وهذا الغرس الطيب هو كلمة التوحيد، التي تتجذر في أرض قلب المؤمن، ويكون لها ساق، وأغصان، وفروع، وأوراق، وثمار. فلا ريب أن هذه الشجرة الطيبة هي ربيع المؤمن الذي يتفياً في ظلاله، ولا يزال حتى يُسلمه إلى رضوان ربه.

العنصر الأول: الطمأنينة والسعادة.

إن للإيمان في القلب أعظم الآثار، ولعل من أعظم آثار الإيمان هذه الطمأنينة والسعادة الدنيوية، التي يجدها أهل الإيمان من الرضا والبشر، والتفاؤل، والسكينة، والمودة، والأنس بكل ما حولهم، لأنهم يرون أنهم عباد الله، يعيشون في أرض الله،

يأكلون من رزق الله، ويسيرون إلى الله، فالطريق أمامهم واضح، والوظيفة معلومة؛
فلذلك استقرت قلوبهم واتضحت لهم الرؤيا، فليسوا في قلق، وليسوا في شك. خلافاً
لمن نزع منه هذا الإيمان على حَدِّ قول أحدهم:

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيتُ
ولقد أبصرت قُدَّامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيتُ
أصحيح أن بعد الموت بعث ونشور
فحياة فخلود أم فناء ودُّثور
أَكَلَامُ النَّاسِ صدق أم كَلَامُ النَّاسِ زور
أصحيح أن بعض الناس يدري؟
لست أدري

ولماذا لست أدري؟

لست أدري

أما المؤمن فإنه يدري، يدري لِمَ خلقه الله، وما هي وظيفته، وإلى أين يسير وما
هو المصير. فهذا يورث في قلبه الطمأنينة والدَّعة والسكينة، فلا تجد أهل الإيمان
إلا في حال رضى، حتى قال أحدهم: "إنه لتَمُرُّ بي الساعات أقول إن كان أهل الجنة في
مثل ما أنا فيه الآن إنَّهم لفي عيش طيب".

وقال عبد الله بن المبارك: "والله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه
من لذة العيش، لجالدونا عليه بالسلاح" أو قال "بالسيوف".

فهذه العبارات تَشِي وتُعَبِّر عن هذه الحالة التي لا يمكن وصفها بالكلمات،
وحسبهم أن الله تعالى يُحبهم ويرضى عنهم، قال الله عزو جل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾
[البينة: 7-8]. فهذا الرضا المتبادل بين العبد والرب، هو أعظم مفروح به وأعظم مظفور
به، فكفاهم فخراً وفرحاً أن نالوا هذه المرتبة.

العنصر الثاني: الأمن في الدنيا وفي الآخرة.

ثُمَّ إِنَّ لِلْإِيمَانِ مِنَ الثَّمَرَاتِ حُصُولَ الْأَمْنِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، قَالَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، لَمَّا تَلَاهَا نَبِينَا ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ شَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَقَالُوا: "يَارَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ: «لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ إِنَّمَا هُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»، فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالظُّلْمِ الظُّلْمَ الْأَكْبَرَ، فَمَنْ تَخَلَّصَ مِنَ الظُّلْمِ الْأَكْبَرِ الَّذِي هُوَ الشَّرْكَ حَصَلَ لَهُ الْأَمْنُ، وَمَنْ ثَلَمَ إِيمَانَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي، نَقَصَ مِنْ أَمْنِهِ بِقَدَرِ مَا ثَلَمَ. فثَمَرَةُ الْإِيمَانِ أَنْ يَحْصَلَ لِصَاحِبِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَمَانِ مَا يَسْتَقِرُّ بِهِ قَلْبُهُ، وَفِي الْآخِرَةِ مَا يُذْهِبُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَنْهُ الْفَزَعَ.

العنصر الثالث: لذة الطاعة.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ حَلَاوَةَ الْمَنَاجَاةِ وَلَذَّةَ الطَّاعَةِ، يَقُولُ نَبِينَا ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» [البخاري: 16، مسلم: 43]. يَقُولُ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: "إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ، قِيلَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: جَنَّةُ مَنَاجَاةِ اللَّهِ وَالْأُنْسِ بِهِ"، فَهَذِهِ أُمُورٌ وَجَدِيَّةٌ يَجِدُهَا أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ وَنَتَائِجِهِ الطَّيِّبَةِ.

العنصر الرابع: استغفار الملائكة للمؤمنين.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: اسْتَغْفَارُ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ

وَذَرِّيَاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ﴿[غافر: 7-9].

كفاك فخراً أيها المؤمن أن يُقَيِّضَ الله لك من الملائكة المقربين، من العباد المُكرمين من يستغفر لك وأنت لا تعلم، إِنَّ في هذا لنعيماً وفرحاً لا يمكن أن تصفه العبارات. أَنْ يُقَيِّضَ الله لك من يستغفر لك في ظهر الغيب من الملائكة الكرام الكاتبين.

العنصر الخامس: الإيمان حصن حصين.

ثُمَّ إِنَّ من ثمرات الإيمان: أَنَّهُ حِرْزٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ لِمَنْ تَدَرَّعَ بِهِ، فَإِنَّ الإيمان إذا حَلَّ في القلب وانصبغت به الجوارح، كان حرزاً من الشيطان، فالشيطان لا يقرب المؤمن، بَلْ يخافه ويهابه بقدر ما عنده من الإيمان؛ ذَلِكَ أَنَّ قلبه مُحْصَنٌ، وبَوَابَاتِهِ تَنْعَمُ بحراسة مشددة فلا يتمكن الشيطان من النفاذ إليها، فقلب المؤمن في حال يقظة تامة بذكر الله تعالى. تأملوا قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 1-6]. فمن استعاذ بالله أعاده الله، أعاده رب الناس ملك الناس، إله الناس، من هذه الواردات والخطرات التي تُكَدِّرُ صَفْوَهُ وتُشْوشُ عليه فكره. فهذه منقبة عظيمة لأهل الإيمان، ومن اعتصم بالله وذكره فَإِنَّ الله تعالى يحفظه ويُخْرِزُهُ من الشيطان.

العنصر السادس: الإيمان مناعة طبيعية.

ثم إن من ثمرات الإيمان: أَنَّها تعطي المؤمن مناعة طبيعية من غِشْيَانِ المعاصي والمنكرات ومُقَارَفَتِهَا، فَإِنَّ المؤمن يقوم في قلبه واعظُ الله، فكلُّمَا هَمَّ أَنْ يَطْأَ شيئاً من هذه المحرمات، أو يتلطح بشيء من هذه القاذورات، قام واعظُ الله في قلبه، يُنَبِّهُهُ وَيُذَكِّرُهُ وَيُخَوِّفُهُ بالله فيُنْزَجِرُ.

يُقال: "إِنَّ رجلاً خلا بامرأة في مكان لا يراها فيه أحد في ليلة مقمرة، فقال لها: إني والله أحبك. فقالت له: وأنا والله أحبك. فقال: وأحب كذا وكذا، يعرض بفعل

الفاحشة، فقالت: وأنا أحب ذلك، قال: فما يمنعنا ولا يرانا إلا الكواكب؟ فقالت:
فأين مَكُونُهَا؟ فخرَّ مغشياً عليه". ذلك أن العلم بالله والإيمان به يورث الخشية،
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:

[28]

الدرس الثالث من الوحدة الأولى: شعب الإيمان ونواقضه.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من خمسة عناصر.

- العنصر الأول: الإيمان قول وعمل.
- العنصر الثاني: تعلق الكفر بالقلب.
- العنصر الثالث: تعلق الكفر باللسان.
- العنصر الرابع: تعلق الكفر بالجوارح.
- العنصر الخامس: أمور مفضية إلى الشرك.

العنصر الأول: الإيمان قول وعمل.

نبينا ﷺ قال في الحديث الصحيح: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون، شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» [مسلم: 35]، وفي هذا دليل لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان له حقيقة مركبة من القول والعمل، فقوله ﷺ: «أعلاها قول لا إله إلا الله» يتضمن اعتقاد القلب وقول اللسان؛ فإن قول (لا إله إلا الله) المراد به أن يعتقد ذلك في قلبه، وأن يتلفظ به بلسانه، معتقداً بأنه لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى. «وأدناها إمطة الأذى عن الطريق» أن ينزع شوگا أو حجرًا من طريق المسلمين وسابلتهم، وهذا يدل على عمل الجوارح. وقوله: «والحياء شعبة من الإيمان»، دليل على عمل القلب؛ إذ الحياء حالة تعتري القلب، فتحجزه عن غشيان ما لا يليق. فتبين بذلك أن الإيمان يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح. وهذا معنى قول أهل السنة والجماعة: "الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان".

وكما أنَّ الإيمان يتعلق بهذه الثلاثة، فنقيضه وهو الكفر يتعلق بها أيضًا. فقد يقع الكفر بالقلب، وقد يقع باللسان، وقد يقع من الجوارح. وهذه تسمى عند العلماء بنواقض الإيمان أو المكفرات.

العنصر الثاني: تعلق الكفر بالقلب.

تعلق الكفر بالقلب أي أن يقع في القلب جحود واستحلال، فينكر ما ثبت بخبر الله وخبر رسوله، كأن يُنكر وجود الله، أو أن يُنكر ربوبيته، أو أن يُنكر ألوهيته، أو أن ينكر شيئاً من أسمائه وصفاته التي ثبتت بنص كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ؛ فهذا الجحود القلبي نوعٌ من أنواع الكفر المُخرج عن الملة.

ويدخل في هذا أيضًا ما يكون في القلب من إساءة الظن بالله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال الله عز وجل: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: 23]. فإذا قام في القلب شيء من هذا الشعور من النقرة، وإساءة الظن بالله، والتسخط عليه في قدره وشرعه؛ فإن هذا من مُحبطات الإيمان.

العنصر الثالث: تعلق الكفر باللسان.

كما أن الكفر ربما جرى على اللسان، بأن يفوه الإنسان بكلمة الكفر ولو كان هازلاً، ولو كان مازحاً، فإنَّ هذا يلزمه بتوابعها. قال الله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: 65-66].

أما إذا بدرت كلمة الكفر من غير إرادة الإنسان، كأن تخرج خطأً أو سهواً أو في حال إكراه؛ فإن هذا لا يحصل به كفر، ودليل ذلك ما حدث به نبينا ﷺ «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» [مسلم: 4927، البخاري: 6308]، فلم يكن هذا الخطأ مخرجاً له عن الملة، مع أنه قد فاه بكلمة الكفر بلسانه.

ومن ذلك أيضًا ما يقع في حال الإكراه، فإنَّ عمارًا بن ياسر رضي الله عنه وعن أبيه وعن أمه، أتى النبي ﷺ باكيًا وقال: "يا رسول الله هلكت"، قال: «وما أهلكك؟» قال: "أجبتهم إلى بعض ما طلبوا"، وكانت قريش تُعذبه حتى إنها لتغمس رأسه بالماء حتى يشرف على الهلاك، ويَحْمِلُونَهُ على أن يقع في نبينا ﷺ، فأجابهم إلى بعض ما طلبوا، وأتى النبي ﷺ نادمًا باكيًا، فما كان منه ﷺ إلا أن قال: «**كيف تجد قلبك؟**» قال: "مطمئنًا بالإيمان"، قال: «**إِنْ عَادُوا فَعُدْ.**»

وهذا معنى قول الله عز وجل: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: 106].

فإذا كان الإنسان مُكْرَهًا على كلمة الكفر أو على فعل الكفر، فإن الله تعالى يَعْذُرُهُ. فالإيمان يتعلق باللسان وكذا الكفر، وبهذا يتبين خطر ما يفوه به بعض السفهاء من كلمات لا يحسبون لها حسابًا، رُبما هَوَتْ بهم في النار سبعين خريفًا، كما قال بلال بن الحارث المُزَنِي في حديثه عن رسول الله ﷺ: «**إِنْ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَلْقَى لَهَا بَأَلًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ.**»

والنفر الذين كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك؛ إِنَّمَا قال قائلهم: "ما رأينا مثل قُرَائِنَا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء". فكان ذلك دليلًا على كفرهم؛ بل كان قولهم هذا كفرًا لقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ﴾ [التوبة: 65].

ويتعلق أيضًا بأن يفوه الإنسان بدعوى علم الغيب، كما يفعل السحرة والكهنة وأمثالهم ممن يدعون العلم بالمُغَيَّبَاتِ، وقد قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَتْيَانَ يَبْعَثُونَ﴾ [النمل: 65]. فمن فَاه بلسانه بدعوى علم الغيب فقد كفر، وكذا كُلُّ من أتى بكلمة كُفْرِيَّة في أي باب من أبواب الاعتقاد.

العنصر الرابع: تعلق الكفر بالجوارح.

ويتعلق الكفر أيضًا بالجوارح: فإذا صدر من جوارح الإنسان ما هو من أعمال الكفر، عامدًا عالمًا ذاكرًا فإنه يكفر بذلك. ومن ذلك: أن يسجد لغير الله، أو يذبح لغير الله، أو يفعل فعلًا من أمور العبادات التي لا تُصرف إلا لله عز وجل، فيصرفها لغيره. فهذا هو الشرك الأكبر. ولأجل ذا سدّ النبي ﷺ جميع الذرائع المفضية إلى الشرك.

العنصر الخامس: أمور مفضية إلى الشرك.

منها **الغلو في الصالحين**. فقد ذم النبي ﷺ قومًا إذا مات فيهم الرجل الصالح دَنَوْا على قبره وجعلوا له تماثيلَ وصورًا، ووصفهم بأنهم شرار الخلق. فإنّ هذا هو ما أفضى ببني آدم زمن نوح عليه السلام إلى الشرك بالله. ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23]. وهؤلاء الخمسة هم أسماء لرجال صالحين، فلمّا ماتوا أتى الشيطان إلى أصحابهم، وندبهم إلى أن يصنعوا لهم تماثيل، وأنصبا في المجالس التي كانوا يعمّرونها، حتى يكون ذلك عونًا لهم على الطاعة ويتذكرونها. فلمّا فني ذلك الجيل واندثر العلم، وجاء جيل بعده عبدوهم. من ذلك أيضًا **الافتتان بالقبور**؛ إما برفعها، أو بتدصيصها، أو بتزيينها، أو بوضع السُرج عليها. فإنّ تعظيم القبور من أعظم الأسباب المفضية إلى الشرك بالله والتعلق بالمقبور، وقد دعى نبينا ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ» [الموطأ: 593]. ومن الأمور المفضية إلى الوقوع في الشرك ونقض عقدة الإيمان **مُشابهة المشركين في ما يفعلون**؛ فإنّ من تشبّه بقوم فهو منهم، فلا يجوز لمسلم أن يتلبّس بشيء من أعمال المشركين، ولا أن يحاكيهم فيها؛ بل ينبذها ويأبأها ولا يجالسهم في أفعالهم.

ومما يُفضي إلى الوقوع في الشرك **التصوير**؛ ولهذا عظم النبي ﷺ أمره وحذّر المصورين، ويّين أنهم أشد الناس عذابًا يوم القيامة، وأنهم يُأمرون يوم القيامة بأن يَنْفُخُوا في كُلِّ صورة صَوَّرُوهَا الروح، وليسوا بنافخين. والتصوير يُؤدّي إلى تعظيم

الصور، والتعلُّق بأصحابها؛ ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي التَّيَّاح الأسدي: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويتهط.

ومن الأمور التي جعلها النبي ﷺ مُفْضِيَةً إلى الشرك الوقوع في بعض الألفاظ البِدْعِيَّة التي تُوقِع في النفس مَعْنَى غير صحيح من ذلك: التسوية بالمشيئة؛ فلمَّا قال له رجل مرة: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده» [البخاري في ((الأدب المفرد)) (290/1)]. ولما أصبح ذات يوم إثر مطر، قال لأصحابه: «أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟» قالوا: "الله ورسوله أعلم"، قال: «قال: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بَنُوْءٌ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ.»

فإِسناد الأفعال إلى غير الله عزَّ وجلَّ لون من ألوان الشُّرك، أو سبب من الأسباب المُفْضِيَّة إلى الوقوع في الشرك. ومن ذلك أيضًا أن يتعلق الإنسان بسبب لم يصبه الله سببًا لا حسًّا ولا شرعًا؛ كالذين يربطون الخيط والحلقة، فقد رأى النبي ﷺ رجلًا قد ربط في عضده حلقة، فقال: «ما هذا؟»، قال: "من الواهنة"، قال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا.»

فتبين بذلك أن العقيدة تصون عقل المؤمن بها، من أن يتعلَّق بشيء من الأوهام أو الأسباب المظنونة، التي لا دليل عليها ولا برهان، فكلُّ من أثبت سببًا لم يصبه الله سببًا لا حسًّا كالأدوية وما أشبهه، ولا شرعًا: كالرقية ونحوها، فقد وقع في الشرك. فربما كان شرًّا أصغر، وربما كان شرًّا أكبر بحسب ما قام في قلبه.

ومن هذا ما وقع فيه كثير من الناس في الآونة الأخيرة من الاستشفاء بالطاقة، فإنهم يزعمون أنَّ ثمة طاقة كونية تُسْري عن طريق المعالِج إلى المعالِج، وتؤثِّر فيه وتستثير جوانب الصحة في بدنه إلى آخره. وكل هذه دعاوى عريضة غير قابلة للتفسير ولا للتعلُّق، فلا يجوز تصديقها ولا ترويجها، ولا تسليكها بين المسلمين.

الوحدة الثانية: الركن الأعظم : الإيمان بالله .

الدرس الأول من الوحدة الثانية: دلائل وجود الله.

رابط الدرس المرئي  ([اضغط هنا للمشاهدة](#))

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من أربعة أدلة.

- الدليل الأول: الفطرة السليمة.
- الدليل الثاني: العقل الصريح.
- الدليل الثالث: الحس المشهود.
- الدليل الرابع: الشرع الصريح.

ينبغي أن نعلم أنه لا يتم الإيمان بالله عز وجل إلا بتحقيق أربعة أمور:

- أولها: الإيمان بوجوده سبحانه.
- ثانيها: الإيمان بربوبيته.
- ثالثها: الإيمان بألوهيته.
- رابعها: الإيمان بأسمائه وصفاته.

يتعلق الدرس بالإيمان بوجود الله تعالى. الله تعالى هو الحق، بل هو أحق الحق وما سواه باطل من كل آلهة مُدَّعاة، ودلائل وجود الله تعالى متعددة متوافرة ونشير إلى أبرزها.

الدليل الأول: الفطرة السليمة.

إن الفطرة هي ما جُبل عليه الإنسان من غير سبق تعليم، بمعنى أنه أمر بُنيوي يولد مع الإنسان، قال الله عز وجل: ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ

لَخَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمَ ﴿[الروم:30]﴾، فقد فَطَرَ اللَّهُ تعالى جميع المخلوقات وبني آدم خاصة، على الإيمان به سبحانه واعتقاد وجوده.

ويقول نبينا ﷺ في الحديث الصحيح: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجَّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» ، [البخاري:1358، مسلم:2658] ولم يقل النبي ﷺ في حديثه: أو يُأسلمناه؛ لأن الإسلام هو الفطرة، ولهذا عَرَّفَ العلماء الفطرة بأنها: الإسلام. ركز الله تعالى في قلوب عباده هذه المعرفة، فلو خُلِّيَ الإنسان وشأنه لاهتدى إلى العلم بالله وخالقه تلقائياً، لو سلم من المؤثرات الخارجية من شياطين الإنس والجن، فإن قلبه سيقوده إلى العلم بوجود إله خالقٍ قادرٍ عليمٍ غني، مُسْتَحِقٌّ لصفات الكمال ونعوت الجلال، مُبَرِّئٌ عن النقص والعيب ومماثلة المخلوقين؛ هذا أمرٌ فطري. ولأجل هذا ينبغي لنا معشر المؤمنين أن نَسْتَحِثَّ هذه الفطرة، وأن نُمِيطَ عنها اللثام، ذلك أن الشياطين تفسد هذه الفطرة.

ففي الحديث القدسي: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ» أي: اجتالتهم الشياطين فأوقعتهم في الشرك، وفي تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله.

ويقال: إن أبا المعالي الجويني رحمه الله، -وكان من كبار المتكلمين الذين يقررون مسائل الاعتقاد بالطرق العقلية- مرَّ في موكبه في نيسابور، والناس من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، فخرجت عجوز وأطَلَّت من كوة بابها فرأته، فقالت: من هذا؟ فقالوا: هذا أبو المعالي الجويني إمام الحرمين، قالت: ومن الجويني؟ قالوا: الذي يُثَبَّت وجود الله بألف دليل، فوضعت كمها على فيها وجعلت تضحك، وقالت: وهل يحتاج وجود الله إلى ألف دليل؟! يقال أن الجويني لما بلغته هذه المقالة مازالت عالقة في نفسه، فلما حضرته الوفاة، قال: "يا ليتني أموت على عقائد عجائز نيسابور"، يشير إلى تلك الفطرة الأصلية التي لم تتلخ بمقالات المتكلمين.

الدليل الثاني: العقل الصريح.

إن الله تعالى مَيَّزَ الإنسان عن الحيوان، بأن أعطاه هذه الأداة التي يستعين بها الأمور وهي العقل، ولهذا نجد أن ربنا سبحانه تعالى يُحيل إلى العقل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فُرْقَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، إلى غير ذلك من الآيات التي فيها استحثاثٌ لإعمال العقل والذهن في الحقائق والعقائد. فالعقل يُثَبِّتُ وجود الله عز وجل، وذلك أن العقل يَقْطَعُ بأنَّه ما من موجود إلَّا ولابُدَّ له من مُوجِد. إذن هذه الكائنات والمخلوقات العلوية والسفلية لا يمكن أن تَخْلُقَ نفسَها بنفسِها، -كما يقول بذلك القائلون بالطبيعة-، ولا يُمكن أن تَظْهَرَ صُدْفَةً، -كما يقول القائلون بالصدفة-، وسيأتي لذلك مزيد بيان. فالعقل يقطع إذن بأنه ما من موجود إلَّا وله مُوجِد.

الدليل الثالث: الحس المشهود.

نقصد بالحس ما يُدْرِكُ بالحواس من السمع، والبصر، واللمس، والذوق، والشم، إلى غير ذلك. لكن نعني بها تحديدًا السمع والبصر. فقد توافرت الأدلة الحسية المسموعة والمرئية على إثبات وجود الله، لا أعني أنَّ أحدًا رأى الله بعين رأسه، فإنَّ هذا لم يقع ولا لنبينا ﷺ؛ وإنما المقصود أن يرى الناس أو فئامٌ من الناس من الآيات، أو يسمعون بها، ما يقطع بوجود الرب سبحانه وبحمده، ويتمثل ذلك في أمرين:

- الأول: آيات الأنبياء التي يسميها بعض الناس (المعجزات). فقد أعطى الله موسى العصا فانقلبت حية، وأخرج صالح من صخرة صماء ناقة عُشْرَاء، وابراً عيسى عليه السلام الأكمه والأبرص، ونبينا ﷺ أشار إلى القمر فانفلق حتى رُؤِيَ جبل أبي قبيس بين فلقتيه، وتفجَّرَ الماء بين يديه، وجرى له ﷺ من الآيات ما يطول المقام بذكره. هؤلاء الأنبياء يُسندون هذه الأمور الخارقة للعادة إلى ربهم و مرسلهم وهو الله عز وجل، فكان ذلك دليلاً على وجوده؛ إذ لو لم يكن موجوداً،

لَمَّا أَجْرَى عَلَى أَيْدِيهِمْ هَذِهِ الْخَوَارِقَ وَالْعَجَائِبَ، فَهَذَا دَلِيلٌ حَسِي شَاهَدَهُ فَنَاءٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، حَتَّى قَالَ نَبِينَا ﷺ أَنَّهُ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَأَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ مَا عَلَى مِثْلِهِ يُؤْمِنُ الْبَشَرُ، «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [البخاري: 4981].

- الثاني: فهو إجابة الداعين وغيوث المكرويين. فَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا دَعَا فَحَصَلَتْ لَهُ إِجَابَةٌ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا حَسِيًّا عَلَى وَجُودِ مَنْ دَعَاهُ، وَمَا مِثْلًا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ رَفَعَ كَفِّهِ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ وَقَالَ: يَارَبَّ يَارَبَّ، فَتَأْتِيهِ الْإِجَابَةُ، فَعَلَامَ يَدِلْ ذَلِكَ؟! يَدِلْ عَلَى مَنْ يَسْمَعُ الصَّوْتِ وَيَجِيبُ الدَّعَاءَ. خذْ مِثْلًا: قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ: ﴿**فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ**﴾ [القمر: 10] ثلاث كلمات، فماذا كان؟ ﴿**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ**﴾ [القمر: 11-14]، فهذا دليل على وجود مُرْسِلِهِ وَنَاصِرِهِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ. ومثال آخر عن نبينا: أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَرْعَةً قِطْعَةً غَيْمٍ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مَنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لَحِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَمِنَ الْغَدِ وَبَعْدَ الْغَدِ وَالَّذِي يَلِيهِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْآخَرَى وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْدِمُ الْبَنَاءَ وَغَرِقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَدَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْطَّرَابِ وَبَطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**»، فَمَا يَشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا انْفَجَرَتْ فَتَمَرَّقَ السَّحَابُ فَمَا نَرَى مِنْهُ شَيْئًا عَلَى الْمَدِينَةِ

وسال الوادي قنأة شهرًا ولم يجرُ أحدٌ من ناحيةٍ إلا حدّث بالجوّد
[البخاري: 933، ومسلم: 897]، فخرج الناس يمشون في الشمس. فهذا يدل
على وجود مُرسله لأنه سمع دعاءه وأجابه، فهذا هو المقصود بدلالة
الجس.

الدليل الرابع: الشرع الصحيح.

هو ما ضمّه المصحف، وما صح عن رسول الله ﷺ، فما من آية محكمة ولا
حديث صحيح إلا هو دليل برأسه على وجود الله تعالى، وذلك أنه لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه، هو مُعْجَزٌ، وهو حقٌّ، وصدقٌ في أخباره، وعدلٌ في أحكامه،
قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
[النساء: 82]

الدرس الثاني من الوحدة الثانية: المنكرون لوجود الله.

رابط الدرس المرئي  ([اضغط هنا للمشاهدة](#))

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من تمهيد وثلاثة عناصر.

- العنصر الأول: الدهريون.
- العنصر الثاني: الطبائعون والصدفيون ورد القرآن عليهم.
- العنصر الثالث: الشيوعيون.

تمهيد.

كنا قد تحدثنا عن دلائل إثبات وجود الله تعالى، وجعلناها أربعا وهي: دليل الفطرة، ودليل العقل، ودليل الحس، ودليل الشرع. بإزاء ذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يوجد قوم منكوسون محجوبون عن الحق، فحادوا عن سواء السبيل، وأنكروا المعلومة بالضرورة، أنكروا وجود الله تعالى الذي هو أبين البين، وأوضح الواضح، وهؤلاء في الواقع أنواع قديما وحديثا. وفيما يلي أشهرهم.

العنصر الأول: الدهريون.

الدهريون نسبة إلى قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجم: 24] فسُموا دهرين لهذه المقالة، قال قائلهم: "أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر". هؤلاء الدهريون قوم من الفلاسفة يعتقدون بقدوم العالم، وبخلود العالم، ولا يثبتون خالقا؛ بل يعتقدون أن هذا الكون وُجد منذ الأزل وسيبقى مستمرا.

هؤلاء الملاحدة من أكثر الكفرة، ولم ينقطع مَثْنُهُم ولا نسلهم حتى يومنا هذا، فوجد في هذا العصر من يُسمّون بالملاحدة الجدد الذين جددوا دعوة أسلافهم وكلماتهم البائرة، ولا شك أنهم محجوجون بما تقدم من دلالة الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

العنصر الثاني: الطبائعيون والصدفيون ورد القرآن عليهم.

الطبايعيون هم الذين ينسبون الأشياء إلى الطبيعة، يزعمون أن الطبيعة هي التي أوجدت جميع ذرات الكون، وأنه بتلاقحها وبتلاقيها وُجد هذا الكون. وهؤلاء عند المناقشة والتدقيق يتبين زيف مقالاتهم؛ إذ أن هذا الكون هو نفسه الطبيعة، فكيف يكون الشيء مُنشئاً لنفسه؟! هو قبل أن يكون كان عدماً، والعدم لا يُنشئ وجوداً، لكن القوم يفرّون من البديهيات ويلتجئون إلى هذه الوهميات؛ كل ذلك لما في صدورهم من كبر ما هم به بالغيه، فيأبؤون أن يثبتوا أن الله تعالى هو الخالق للأشياء، ويجعلوا من صنم الطبيعة خالقا مزعوما في كلمات غير متعقّلة ولا قابلة للتفسير. وقريبٌ منهم وربما أبعد منهم الصنف الثالث وهم **الصدفيون** القائلون بالصدفة، الذين يزعمون أن هذا الكون وُجد صدفة بمعنى أنه هكذا فجأةً وُجد، ولا ينقضي العجب من هؤلاء إذ أنّهم يأبون كثيراً من الاحتمالات التي تقع بمحض الصدفة، ويرفضون تصوّرها، فلو قيل لأحدهم: إنّ مطبعة ما انفجرت وتناثرت حروفها في الهواء، ثم سقطت على وجه الأرض فاصطّفت على هيئة نص يمثل مُعلّقة امرؤ القيس، أو خطبة فلان ابن فلان، أو مقالة فلان بن فلان... لعدّوا ذلك ضرباً من الجنون، فكيف يزعم هؤلاء أن هذا الكون يتناسقه ونظامه وبديع صنعه إنّما وُجد صدفة؟! هذه دعوة باطلة ما حملهم عليها إلا الكبر الذي في قلوبهم. والواقع أنّ كلا الفريقين -أعني القائلين بالطبيعة والقائلين بالصدفة- قد ردّ الله تعالى مقالاتهم بآية واحدة نسفت هذه الدعاوى الباطلة من جذورها، وهي قول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35]، فقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ رد على القائلين بالصدفة.

﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ يعني لأنفسهم ردُّ على القائلين بالطبيعة، فالجملة الأولى تأبى وترفض أن يكون الشيء وُجد صدفة، إذ أنَّ الشيء غير الموجود -الشيء المعدم- لا يمكن أن يُنشأ وجودًا، المعدم لا ينشئ وجودًا. وكذلك ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ردُّ على القائلين بأن الطبيعة أوجدت نفسها بنفسها، فإنَّ هذا أيضًا أمرٌ غير مقبول، فلهذا جعل الله تعالى هاتين الصورتين بصيغة السؤال الاستنكاري لبداهة رفضه لدى جميع عقول الأسوياء.

ولمَّا سمع أحد الصحابة رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية في صلاة المغرب، حين قرأ سورة الطور، وكان ذلك الصباحي إذ ذاك مشرَّغًا، جاء ليفاوض النبي ﷺ في أسرى بدر، قال: "فلما بلغ قول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35]، كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي."

وهناك من مُنكري وجود الله -أفراد شواذ على مر التاريخ- يغالطون أنفسهم، ويكابرون الحقائق، مثل فرعون الذي قال لموسى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 23]، منكراً لوجود الله تعالى، ثم تمادى به الأمر أنه ادعى ذلك لنفسه، لعلمه بأنه لابد من بديل، فإن هو أنكر ربوبية الله فلا بد للناس من أن يتعلقوا برب، فما زال يتجارى به الكفر حتى قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24]، ثم أسلمه ذلك إلى رتبة ثالثة في الانحطاط فقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]، وذلك للتلازم بين الربوبية والألوهية كما سنذكر لاحقًا.

لكن موسى عليه السلام جَبَّهَهُ بالحقيقة، وقال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: 102]، كأنما فُلِقَ أضلاعه واستخرج خبيثة قلبه، وقال له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾. وهذا حق، فإن الله تعالى قد أثبت بأن فرعون وملأه كانوا يعلمون بوجود الله، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلوًّا﴾ [النمل: 14].

ومن هؤلاء الأفراد الشُّداد: النمرود الذي لقيه إبراهيم عليه السلام وقال له: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258]، فادَّعى على سبيل المغالطة قال: ﴿قَالَ أَنَا

أُخِي وَأُمِيْتُ ﴿ [البقرة: 258]، ثم دعى بأسيرين فقتل أحدهما وأطلق الآخر مدّعيًا أنه
أحيا وأمات وهذه مغالطة؛ لكنّ إبراهيم عليه السلام لم يجاريه في هذا وأتى له دليل
واضح لا يستطيع أن يُغالطه قال: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ
الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [البقرة: 259].

العنصر الثالث: الشيوعيون.

وما زال هؤلاء الملاحدة لهم أذيال وأذنان في كل جيل وقبيل، وقد وُجد في
العصور المتأخرة من يُسمون الشيوعيون الذين يقول قائلهم: "لا إله والحياة مادة"،
فأنكروا وجود الله ولم يؤمنوا إلا بالماديات الحسّيات، ولمّا حاول هؤلاء أن يُقيموا
دولة على هذا الأساس المُهترئ، لم تدم طويلًا، بالكاد عمّرت سبعين سنة، ثم تحلّل
الاتحاد السوفيتي الذي كان يبني أيديولوجيته على هذه العقيدة الكُفريّة -عقيدة إنكار
وجود الله؛ ولا ريب أن الإيمان بوجود الله هو عقيدة البشر جميعًا، ولا يَنازع في هذا
إلا مكابِرٌ مغالِطٌ.

الدرس الثالث من الوحدة الثانية: الإيمان بربوبيته.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من أربعة عناصر.

- العنصر الأول: معنى ربوبية الله.
- العنصر الثاني: الخلق.
- العنصر الثالث: الملك.
- العنصر الرابع: الأمر والتدبير.

العنصر الأول: معنى ربوبية الله.

ماذا يعني أن الله تعالى هو الرب؟ يعني ذلك باختصار: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الخالق المالك الأمر؛ هو الخالق فلا خالق سواه، هو المالك فلا مالك سواه، هو الأمر المُدبّر فلا أمر ولا مدبر سواه، فالرب هو الذي ربّ عباده بنعمه، والتربية فيها معنى التنشئة شيئاً فشيئاً، وذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يزل يُحَوِّط عباده بالطفاه ونعمائه حتى يبلغوا شأنهم ومبتغاهم؛ فمدار الربوبية على ثلاثة أمور، الخلق والملك والتدبير.

العنصر الثاني: الخلق.

الله خالق كل شيء فليس ثمة في الكون إلا خالق أو مخلوق، فالله هو الخالق وما سواه مخلوق، قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]، فلا يمكن لأحد أن ينازع الله تعالى في خلقه، حتى إنّ بني آدم قد أظبقوا على هذا الأمر ولم يُنازعوا فيه، ولم يدّع أحد من بني آدم أن للخلق أو أن للكون خالقين متكافئين.

غاية ما يوجد ما ادعاه الثنوية من المجوس من وجود إله النور يخلق الخير، وإله الظلمة يخلق الشر. ومع ذلك فإنهم يجعلون إله النور أعلى وأقوى من إله الظلمة، ويقولون إن إله النور قديم، وإله الظلمة مُحدث، وأما سائر بني آدم فإنهم يُثبتون الله تعالى خالقًا لا خالق معه سواه، وقد دلَّ على هذا صريح القرآن وناطق السنة في أدلة يطول ذكرها.

فالله تعالى خالق كل شيء وخلق كل شيء، وهو سبحانه وتعالى خلق جميع الأشياء، ذواتها وصفاتها وحركاتها، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]. ولا يجوز أن يُثبت خالق مع الله عز وجل، فمن ادعى ذلك فقد وقع في الشرك في الربوبية.

العنصر الثالث: المُلْك.

فالله هو المالك وحده لا شريك له في ملكه، كما قال سبحانه وتعالى في غير ما آية: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ [فاطر: 13]، ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: 31]. فالله تعالى يملك كل شيء لا شريك له في ملكه، وقد تحدَّى الله تعالى المشركين الذين يتعلقون بغيره، ويتخذون الوسائط سواه فقال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: 22-23].

تأملوا كيف أن الله تعالى أفنى جميع متعلقات المشركين؟! أن يملكوا استقلالاً أو أن يملكوا مشاركة، أو أن يكونوا بمنزلة الخدم والحشم الذين لا يستغني عنهم سلطان، أو أن يكون لهم إدلاءً ووجاهة على الله عز وجل: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: 22-23]، أي لا يملكون استقلالاً. من ذا الذي يدعي أنه يملك شيئاً من السموات والأرض ملكاً تاماً مطلقاً!!

فلربما قال قائل: "نعم لا يملكون استقلالاً، فلعل لهم نسبة مُشاعة من المشاركة"، فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾، فربما قال قائل: "حسنًا لا يملكون

استقلالاً ولا مشاركة لكنهم بمنزلة الخدم والحشم والأعوان الذين لا يستغني عنهم سلطان"، فقال الله: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾، وما بقي إلا أمر رابع وهو أمر الشفاعة، فبين سبحانه أن الشفاعة له جميعاً فقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾. ففني كل ما يتعلق به هؤلاء المشركون، ووجب توحيد رب العالمين.

العنصر الرابع: الأمر والتدبير.

أما الأمر الثالث الذي عليه مدار الربوبية فهو الأمر: فالله تعالى هو الأمر هو المُدبِّر، وأمر الله تعالى نوعان، أمر كوني وأمر شرعي.

فأما أمره الكوني: فهو ما يصرف الله تعالى به ملكوت السموات والأرض، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40].

وأما أمره الشرعي: فما يقضيه من حلال وحرام يُنزل على رُسله، ويودعه في كتبه، فكمال تحقيق الربوبية هو أن يُطاع الله في أمره الشرعي كما يُخضع له في أمره الكوني، فصار مدار الربوبية على هذه الأمور الثلاثة: الخلق، والملك، والتدبير أي الأمر.

وكما أسلفنا أنه لا منكر لشيء من ذلك من بني آدم، وأشهر من عُرف إنكاره للربوبية هو فرعون حينما قال: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ [طه: 49]، قال: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50] فألجماه الحجة، وقد علمها سلفاً كما قال ربنا عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14].

فيجب على كل مؤمن ومؤمنة إذا سرح طرفه في ملكوت السموات والأرض، أن يعتقد اعتقاداً جازماً، بأن خالق جميع الأشياء ومالكها ومُدبِّرها، هو الله وحده دون ما سواه، فبهذا تتحقق الربوبية.

وقد كان المشركون مُقرِّين بهذه الربوبية كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: 38]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: 87]، إلى غير ذلك من الآيات التي يقرون فيها بأن الله

تعالى يُطعم ولا يُطعم، ويُجير ولا يُجار عليه، لكن ذلك لم يكن كافيًا في إضفاء وصف الإيمان عليهم؛ لأن أمر الربوبية أمر فطري، أمرٌ يُجمع عليه بنو آدم.

الدرس الرابع من الوحدة الثانية: الإيمان بألوهيته.

رابط الدرس المرئي ([اضغط هنا للمشاهدة](#))

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من ستة عناصر.

- العنصر الأول: معنى ألوهية الله.
- العنصر الثاني: العبادة وحقيقتها.
- العنصر الثالث: العبادات القلبية.
- العنصر الرابع: العبادات القولية.
- العنصر الخامس: العبادات العملية.
- العنصر السادس: مخاطر الوقوع في الشرك الأكبر.

العنصر الأول: معنى ألوهية الله.

سوف نتحدث عن أمر مهم هو حلبة الصراع ومعتك النزاع بين الأنبياء وأقوامهم؛ لأجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، إنه الإيمان بالألوهية، إنه أمر العبادة.

والإيمان بألوهية الله تعالى يعني: الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو المستحق للعبادة دون ما سواه، وهو معنى قول: (لا إله إلا الله)، فإن معنى الإله أي المألوه أي المعبود من تأله القلوب محبة وتعظيمًا، وهذا سائد في لغات العرب أن يأتي فعال ويُراد به مفعول كما نقول: كتاب بمعنى مكتوب، بساط بمعنى مَبْسُوط، فراش بمعنى مَفْرُوش، فاله بمعنى مألوه لا بمعنى آله، فمعنى الإله أي المألوه، وهو الذي تأله القلوب: أي تنجذب إليه محبة وتعظيمًا.

فإذا قال الإنسان: (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق إلا الله، وإنما قلنا بحق لوجود آلهة مُدَّعاة كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا﴾ [الأنبياء: 43]،

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ [مريم: 81]، فتلك آلهة زائفة، أما الإله بحق فهو الله سبحانه وحده لا شريك له.

فالإيمان بالوهمية الله، هو أن يعتقد الإنسان اعتقادًا جازمًا أن الله وحده، هو المستحق للعبادة لا يجوز صرف شيء من أنواعها لغيره.

العنصر الثاني: العبادة وحقيقتها.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، هذا هو تعريف العبادة باعتباره المُتعبّد به، أي باعتبار مفردات العبادة، أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وأما حقيقة العبادة أي تعريف العبادة باعتبار حقيقتها فهي: كمال المحبة مع كمال التعظيم، أو مع كمال الذل والخضوع. فحقيقة العبادة أن يشعر العبد تجاه معبوده بكمال الخضوع، وكمال الذل مع كمال المحبة يقترنان معًا، فتلك هي العبادة. والعبادات أنواع وأصناف فمنها عبادات قلبية، وعبادات قولية، وعبادات عملية.

العنصر الثالث: العبادات القلبية.

لا ريب أن أشرف أنواع العبادات هي العبادات القلبية؛ لأنها أساس لما سواها. قال نبينا ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». [البخاري: 52، ومسلم: 1599].

والعبادات القلبية متعددة لكن أمهاتها ثلاث: المحبة، والخوف، والرجاء. فهذه الثلاث هي أمهات العبادات القلبية التي تلتقي عندها بقية العبادات، كالتوكل والأنس والشوق إلى الله تعالى وغير ذلك.

- **الحب**: أفضلها، لأن الحب هو أعظم ما تُعبّد الله تعالى به، قال الله عز

وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، والحب لا ينقطع؛ بل إنه يزيد،

فإذا بلغ الإنسان جنة ربه زاد حبه لله تعالى، والحب بين الله وبين عباده

متبادل من الطرفين، لكن لله محبةٌ تليق به، وللمؤمن محبةٌ تليق به. قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54].

- **الخوف:** ويقال: الخشية، وقد ينوب أحدهما عن الآخر، وقيل في التفريق بينهما أن الخشية خوف مقرون بالعلم بالمخشي منه؛ لهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]. والخوف هو الذي يحجز الإنسان عن أن يخرج عن طاعة الله، والله تعالى يُخَافُ لذاته، ويُخَافُ لوعيده، فالمؤمن يتقي الوقوع في المعاصي خوفاً من الله وخوفاً من عقابه وعذابه.

- **الرجاء:** وهو تعلق القلب بالله تعالى والطمع فيه، فيرجو ربه، ويرجو رحمته، ويرجو جنته، وتجتمع هذه المعاني في القلب، وقد قيل في تصوير هذه الثلاثة -المحبة والخوف والرجاء- بأنها كالطائر له جناحان، فجسم الطائر ورأسه هو المحبة، وجناحاه هما الخوف والرجاء؛ ولهذا ينبغي أن يكون طيرانه مستقيماً معتدلاً بأن يوازن بين الخوف والرجاء، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: 57].

فالأصل أن يوازن الإنسان بين الخوف والرجاء، كما يوازن الطائر بين جناحيه. فلو عظم أحد جناحيه على حساب الآخر لَمَالَ في طيرانه. ولكن قد يحتاج المؤمن في وقت من الأوقات إلى زيادة حصّة الرجاء، كما إذا أدلّهت الخطوب أو حضرته الوفاة، فإنه ينبغي أن يُعْظِمَ الرجاء في الله كما في الحديث الصحيح: "أنا عند ظن عبدي بي". وفي حال إقبال الدنيا وزخرفها وبهجتها، ينبغي أن يُغْلِبَ جانب الخوف ليحجز نفسه عن الوقوع في معاصي الله، كما صُوِّرَ ذلك بمثال آخر: بأن المحبة أشبه ما تكون بالمركبة التي يستقلها الإنسان، والرجاء هو الذي يَحْدُوها، والخوف هو الذي يحجزها عن أن تخرج عن المسار يمناً أو يسرة، وكل هذا لغرض التقريب.

وتمَّ عبادات قلبية شريفة أخرى: كالتوكل، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]،

فهو مقامٌ عظيمٌ من مقامات العبادة. وحقيقة التوكل اعتماد القلب على الله، في جلب المصالح ودفع المضار مع فعل الأسباب الموصلة لذلك. هذه جُملة من العبادات القلبية التي ينبغي أن يعتني المؤمن بها، وأن يُنِيش بها قلبه فإنها أصلُ العبادة وسرُّها.

العنصر الرابع: العبادات القولية.

من العبادات ما يكون قولاً يلهج به اللسان كالدعاء مثلاً، فإنه ما شيءٌ أكرم على الله من الدعاء كما جاء ذلك في الحديث، والرَّب سبحانه وتعالى قد جعل الدعاء هو العبادة، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: 40]، لم يقل: عن دُعائي؛ فكأنما جعل الدعاء والعبادة بمنزلة البَدل والمُبدل منه؛ لأنه أصرح شيء يدل على العبادة؛ إذ أن في الدعاء من التعلق والرغبة والرغبة والطمع والرجاء ما لا يوجد في غيره، وهو محبوبٌ عند الله كريم عليه. يقول الشاعر:

الرَّبُّ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه *** وَبُنَى آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ
نعم والله ابن آدم إذا ألححت عليه بالسؤال فإنه يغضب وينفعل، أما الرب سبحانه فلو ترك العبد سؤاله لغضب عليه؛ لأنه رب العالمين سبحانه وبحمده. ومن صور العبادات القولية: الاستعاذة، وهو طلب العوذ من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، وقال: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200].

فالاستعاذة هي طلب العوذ، وذلك بأن يشعر المُستعِذ بأنه يهرب إلى الله، ويفزع إليه هروباً وفزعاً أعظم من هروب الطفل إلى والده، إذا رأى أو شاهد سُبُعاً أو شيئاً مُخَوِّفاً يجري نحوه ويلتصق به. فلو حقَّق المؤمن هذه الكيفية وفزع إلى ربه واستعاذ به، فوالله ليعيذه.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيضًا: الاستعانة والاستغاثة، بأن يستغيث بربه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 9]، بأن يقول الإنسان: (اللهم أغثني) فيسأل الله الغوث، أو الاستعانة: بأن يستعين ربه يقول: (اللهم أعني)، (إياك نعبد وإياك نستعين).
فهذه الألفاظ ألفاظ شرعية، وقد علّم النبي ﷺ حبّه معاذًا بن جبل فقال له: «يا معاذ، والله إني لأحبُّك، والله إني لأحبُّك»، فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعنَّ في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك» [أبوداود: 1522، والنسائي: 1303].
وقد قيل:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى *** فأولُ ما يجني عليه اجتهاده.

العنصر الخامس: العبادات العملية.

وهناك عبادات بدنية وهي: تسخير هذه الجوارح في مراد الله تعالى على ما شرعه الله: كالركوع، والسجود، والقيام، والقعود، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج، وإمالة الأذى عن الطريق. فهذه عبادات بدنية يُظهر فيها العبد عبادة جوارحه وأطرافه لله رب العالمين.

ومن أنواع العبادات: العبادات المالية، وهو حق الله في المال: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: 24]، فيدخل في ذلك النفقات الواجبة والمستحبة.

- فمن النفقات الواجبة: الزكّوات التي فرضها الله تعالى في الأموال الزكّويّة؛ إذا بلغت أنصبة معلومة وصرفها لأهلها. وهناك نفقات واجبة: كالنفقة على الزوجة والولد والبهائم.

- ونفقات مستحبة: كالصدقات والتبرعات، فكل هذه الأشياء مما يُتقرب به إلى الله عزّ وجل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: 9].

هذه العبادات يجب صرفها جميعها لله عز وجل، فإن صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله. وقد كان المشركون الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ يأتون أنواعًا من هذه القُرب، حتى إنهم يطعمون الحجاج ويسقونهم، ويزلونهم في منازلهم، ويكرمونهم، لكنهم يُفسدون ذلك بالشرك؛ بل إنَّهم يَحْجُونَ بيت الله، ويقفون في المواقف، ويُفسدون ذلك بالشرك. قال الله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

وقد ذُكرت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ رجلًا شريفًا من أهل مكة، يقال له عبد الله بن زيد بن جدعان، وأنه كان يَفُكُّ العاني، وكان ينصر الضعيف، وذكرت من فضائله، هل نفعه ذلك عند الله؟، فقال النبي ﷺ: «لا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئتي يَوْمَ الدِّينِ.»

فالمشركون كانوا يعملون أعمالًا صالحة وفُربًا متنوعة، لكنَّهم يُفسدونها بالشرك؛ حتى إنَّ أحدهم إذا خرج إلى الموسم لبى فقال: "لَبَّيْكَ اللهم لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شريك لك، إلَّا شريكًا هُوَ لك مَلَكْتُهُ وَمَا مَلَكَ"، فأهَلَ رسول الله ﷺ بالتوحيد قائلاً: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنَّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ). فهذا هو الفرق بين التوحيد، وبين نقيضه وهو: الشرك.

وقد بعث الله المرسلين لتحقيق التوحيد، وتخليصه من شوائب الشرك؛ وإلا فقد كانت البشرية تعرف الله وتعبد، ألم تروا أن إبراهيم عليه السلام قد قال لقومه: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: 26-27]، إذا قلنا إنَّ الاستثناء مُتَّصِلٌ فهذا يدلُّ على أنَّ قومه كانوا يعبدون الله، فكان من جملة معبوداتهم الله سبحانه وتعالى، فتبرَّأ إبراهيم عليه السلام من جميع معبوداتهم، واستثنى ربَّه ومعبوده وهو: الله سبحانه وتعالى.

كذلك الفتية أصحاب الكهف، فإنهم قد قالوا ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الكهف: 16]، فهذا يدلُّ على أنهم كانوا يعبدون الله ولكنهم يعبدون معه غيره، فما كان منهم إلَّا أن اعتزلوا جميع معبوداتهم واستثنوا ربهم عز وجل. والواقع أن أمر

الشرك عظيم إذ أنه أظلم الظلم، وأقبح القبيح، وأمحل المحال، حتى قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

العنصر السادس: مخاطر الوقوع في الشرك الأكبر.

ما تُقَرَّبَ لله تعالى بحسنة أعظم من التوحيد، ولا عُصِيَ الله بذنب أعظم من الشرك، ويترتب على الوقوع في الشرك الأكبر أمور خطيرة جسيمة منها:

- عدم غفران الذنوب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]. الكبائر: كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والربا، والتولي يوم الزحف إلى غيرها تحت المشيئة والإرادة يوم القيامة. إن شاء الله تعالى عفا عن صاحبها، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، ومآله إلى الجنة بسبب حسنة التوحيد. فأما الشرك لا يغفره الله أبداً: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، هذا يُقال للأنبياء وعلى رأسهم محمد ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 65-66]. هكذا يجب أن يكون وأن يُفرد الله بالتوحيد. فمن الآثار المترتبة على الشرك: عدم غفران الذنوب.

- ومنها: تحريم الجنة والخلود في النار. قال الله تعالى عن عبده وكلمته وروحه عيسى ابن مريم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72]. إن الله حرَّم على الجنة أن يدخلها مُشْرِكٌ، فلا يدخلها إلا نفس طيبة، وجعل النار مأوى لهؤلاء المشركين الذين أشركوا معه في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

- حبوط جميع الأعمال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

- إباحة الدم والمال: فإنه لا عصمة إلا بالتوحيد، قال نبينا ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى» [النسائي: 3979].

الدرس الخامس من الوحدة الثانية: الإيمان بأسمائه وصفاته.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من أربعة عناصر.

- العنصر الأول: حقيقة الإيمان بأسماء الله.
- العنصر الثاني: لله في أسمائه المثل الأعلى.
- العنصر الثالث: أسماء الله غير محصورة.
- العنصر الرابع: أسماء الله توقيفية.

العنصر الأول: حقيقة الإيمان بأسماء الله.

الإيمان بأسماء الله وصفاته هو: الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].
بمعنى أن نُثبت ما أثبت الله لنفسه في كتابه، أو أثبت له نبيه ﷺ في سنته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل. فالواجب علينا في هذا الباب العظيم وهذا المقام الخطير، أن نُثبت إثباتاً بلا تمثيل، وأن نُنزّه الله تعالى تنزيهاً بلا تعطيل.

فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد تعرّف إلينا بالنفي والإثبات، فتارةً يُثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العلى، وتارةً يُنزّه نفسه عن سمات المحدثين، وصفات المخلوقين من: العيب والنقص ومماثلة المخلوقين.

تأملوا في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ هاتان إثباتات، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1: 4] هذا نفي. وفي قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ نفي وإثبات، ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إثبات، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ نفي، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إثبات، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

نفي، أي لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ إثبات، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ نفي، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إثبات، ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ نفي، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ إثبات [البقرة: 255].

بهذا يتم العلم بالله بالجمع بين النفي والإثبات، فلربنا سبحانه وبحمده الأسماء الحسنى، ويجب أن نعلم أن أسماء الله تعالى قد سَمَّى بها نفسه منذ الأزل، لا كما يدعيه الجهمية من أن الناس؛ اصطنعوا له أسماء وأطلقوها عليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فقد قال سبحانه في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، وقال في سورة طه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 8]، وقال في آخر سورة الحشر: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: 24]. فيجب أن نعتقد أن لله هذه الأسماء.

العنصر الثاني: لله في أسمائه المثل الأعلى.

ومما ينبغي أن نعلمه في هذا المقام الشريف، أن أسماء الله تعالى كلها قد بلغت في الحُسن غايتها؛ كما يدل عليه لفظ (حسنى)، فإن (حُسنى) بمعنى فُعلَى، وهي من صيغ المبالغة. فالله تعالى له من كل اسم الوصف الأعلى والمثل الأعلى، يقول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: 60]، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: 27]، أي الوصف الكامل، فله من السمع أعلاه، وله من البصر أعلاه، وله من العلم أكملهُ، هذا معنى أن الله تعالى له الأسماء الحسنى. فالله تعالى سميع والعبد سميع، والله تعالى بصير والعبد بصير، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2]. لكن ليس سميع كسميع، ولا بصير كبصير، ولا سَمْعٌ كسمع، ولا بَصَرٌ كبصر. فَسَمْعُ الله تعالى مُحِيط بكل الأصوات، وسمع المخلوق محدود بما حوله. تقول عائشة رضي الله عنها: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد

جاءت المجادلة تجادل رسول الله ﷺ وإني لفي جانب الدار يخفى علي بعض كلامها، وقد سمعها الله من فوق سبعة أرقعة".

كذلك البصر، هو سبحانه وتعالى يرى ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وأحدنا لا يبصر إلا ما حوله، ولا يرى ما وراء الجدران إلى غير ذلك. أمّا بَصَرُ الرب سبحانه وتعالى، فَإِنَّهُ يَنْفُذُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، فهذا معنى قولنا: "إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى، قَدْ بَلَغَتْ فِي الْحُسْنِ غَايَتَهُ".

الله تعالى عليم قد أحاط بكل شيءٍ علماً؛ عَلِمَ ما كان، وما يكون، وما سوف يكون، وما لم يكن، كيف لو كان يكون!!

وأما علم المخلوق فمحدود: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]، لَمَّا ركب موسى والخضر السفينة، جاء عصفور فوق وقع على حرف السفينة فنقر في ماء البحر نقرة أو نقرتين فقال الخضر لموسى: "مَا تَظُنُّ يَا مُوسَى أَنَّ هَذَا الْعَصْفُورَ نَقَصَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟ قَالَ: وَمَا عَسَى أَنْ يَنْقُصَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ! فَقَالَ: فَإِنَّ عَلَمِي وَعِلْمَكَ وَعِلْمَ النَّاسِ جَمِيعًا فِي عِلْمِ اللَّهِ، كَمَا نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ". وعلى هذا قس جميع أسماء الله الحسنى.

العنصر الثالث: أسماء الله غير محصورة.

مما ينبغي أن نعلمه أيضًا في هذا المقام، أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى غير محصورة بعدد معين. قد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قد قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» [البخاري: 2736]. ظَنُّ بعض الناس أن هذا نوعٌ من الحصر، وليس كذلك؛ وإنما المراد أن لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسمًا من توَصَّلَ إلى إحصائها فَإِنَّهُ يَنَالُ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ. وهذا لا يقضي بأنَّ ليس له أسماءٌ غيرها؛ فَإِنَّ رسول الله ﷺ قد قال في حديث الكرب: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ» [رواه أحمد: 3712].

فدلّ ذلك على أن الله ربما أعلم بعض عباده شيئاً من أسمائه لم يعلم بها آخرون، ربما استأثر الله تعالى ببعض الأسماء لم يُطلع عليها أحداً. فأسماء الله تعالى غير محصورة بعدد؛ وإنما قول النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» [البخاري: 2736]، من جنس قول أحدنا: "إِنَّ عِنْدِي مِائَةَ دِينَارٍ قَدْ أَعَدَدْتُهَا لِلنَّفَقَةِ أَوْ لِلصَّدَقَةِ"، هذا لا يعني عدم وجود مال له سواها.

العنصر الرابع: أسماء الله توقيفية.

أيضاً مما يُقرّر في باب قواعد الأسماء، أنّ أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها؛ أي أنه ليس لأحد أن يُسمي الله تعالى بغير ما سمي به نفسه، كما يفعل الفلاسفة حينما يقولون: العلة الفاعلة، أو المتكلمون حينما يقولون: واجب الوجود، أو غيرهم ممن يصطنعوا له أسماء. فيقال: بل أسماء الله تعالى توقيفية، نقف فيها عند موارد النصوص، لا نزيد فيها ولا ننقص.

فلا يجوز لأحد أن يُضيف إلى الله اسماً لم يُسمَّ به نفسه، فإنّ الله أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قِيلاً وأحسن حديثاً من خلقه؛ فوجب الاقتصار على ذلك وعدم الخروج عنه، وليس للعقل أن يفرض أسماء من تلقاء نفسه وينسبها إلى الله عز وجل، فإنّ هذا من القول على الله بغير علم، وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33].

فمن ادّعى اسماً لله لم يُسمَّ به نفسه فقد قال على الله بغير علم، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36].

الدرس السادس من الوحدة الثانية: أقسام صفات الله.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من ستة عناصر.

- العنصر الأول: أقسام صفات الله عز وجل.
- العنصر الثاني: صفة الكلام.
- العنصر الثالث: صفة الاستواء.
- العنصر الرابع: صفة المحبة.
- العنصر الخامس: صفة الفرح.
- العنصر السادس: موقفنا من الأسماء والصفات.

العنصر الأول: أقسام صفات الله عز وجل.

لازال الحديث متصلًا عن الإيمان بأسماء الله وصفاته، وصفات الله تعالى ذلك أنه تعالى قد وصف نفسه بالصفات الحسنى؛ كما قال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: 10]، والعزة وصف، وكما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: 133]، والرحمة وصف، كما أن أفعاله سبحانه وتعالى تدل على قيام الصفات به كقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: 22] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: 185] ونحو هذا، فإنها تدل على إثبات المجيء وتدل على إثبات الإرادة، وهكذا في جميع أفعاله سبحانه.

وينبغي أن نَعْلَمَ أَنَّ صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين رئيسيين: صفات ذاتية، وصفات فعلية.

- فأما صفاته الذاتية: فهي الملازمة لذاته سبحانه، التي لا يُتَصَوَّرُ خُلُوُّ الرب منها، وانفكاؤها عنه كصفات: العلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة

والكلام، ونحو ذلك من الصفات التي هي ملازمة لذاته سبحانه. ولا يمكن أن يخلو الرب منها في حالٍ دون حال.

- وأما الصفات الفعلية: فهي المتعلقة بمشيئته وحكمته، بمعنى أن الله تعالى يتَّصف بها متى شاء كيف شاء إذا شاء، بما تقتضيه حكمته، والله سبحانه وتعالى فعَّال لما يريد كما أخبر عن نفسه، فله سبحانه أن يفعل ما شاء متى شاء، ونُمثل لذلك بقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]؛ فإنَّ هذا المجيء مجيء يكون يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد؛ بمعنى أنه بعد لم يقع وإنما يقع حسب مشيئته يوم القيامة. فدلَّ على اتِّصاف الله تعالى بهذا الوصف اتِّصافاً يليق بجلاله، ولا يجوز بحالٍ من الأحوال تحريف هذه الصفة إلى مجيء أمره أو مجيء ملائكته، فإن الله قد قال في ذات الآية: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾. وكذا قول النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» [البخاري: 7494، ومسلم: 785]، فدلَّ على أنَّ من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته صفة النزول، حتى بلغت الأحاديث فيها مبلغ التواتر، فليَّه تعالى نزول يليق به لا يلزم منه أي نوع من أنواع النقص أو مماثلة المخلوقين، وكل ما خطر ببالك فالله ليس كذلك، فالله تعالى ليس كمثله شيء. فالصفات المتعلقة بمشيئته سبحانه يقال عنها: صفات فعلية، وثَمَّ من الصفات ما يُقال عنه إنَّه ذاتي باعتبار أو فعلي باعتبار.

العنصر الثاني: صفة الكلام.

إنَّ صفة الكلام يقال عنها: قديمة النوع حادثة الآحاد؛ أي بمعنى أن الله تعالى لم يزل مُتكلِّماً منذ الأزل ولا يزال سبحانه متكلِّماً يتكلم متى شاء كيف شاء. دليل ذلك أن الله تعالى قد قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: 143]، فدلَّ ذلك على أن الكلام وقع بعد المجيء، هكذا يفهم كل عربي قُح تُتلى عليه هذه الآية أن الكلام وقع بعد المجيء. فقد كلم الله موسى عند جبل الطور كما أخبر عن نفسه بكلام حقيقي يليق بجلاله وعظمته لا يماثل كلام المخلوقين.

فيقال عن مثل هذه الصفات: إنها ذاتية باعتبار، فعلية باعتبار؛ أي ذاتية من حيث أصل اتصاف الرب بها، وفعلية من حيث تجدد آحادها وأفرادها.

العنصر الثالث: صفة الاستواء.

لقد أخبر الله في سبعة مواضع من كتابه بأنه استوى على العرش، قال في ستة منها: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54]. وقال في موضع: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، ومعنى استوى أي: علا علواً يليق بجلاله وعظمته، فيجب أن يُثبَّتَ لله سبحانه وتعالى ما أثبت لنفسه، وألا يتجنى أحدٌ على هذه النصوص بأي نوع من أنواع الجنيات سواء كانت من جهة المبالغة في الإثبات: كالتمثيل والتكليف؛ أو من جهة التنزيه: كالتحريف والتعطيل. بل يلزم طريق الوسط الذي كان عليه سلف هذه الأمة من: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

فلا يجوز أن يُكَيَّفَ امرؤ صفة الاستواء بقوله: كذا وكذا وكذا. فإنَّ العقل لا يُحيط ولا يُطيق أن يُكَيَّفَ صفات رب العالمين، كما أنه لا يجوز في الجانب المقابل أن تُنْفَى هذه الصفة لدعوة يدَّعيها مُدَّعٍ من أنَّ ذلك يلزم منه تشبيهه بالمخلوقين فإنَّ هذا ليس بلازم. فقد أخبر الله تعالى عن نفسه بأن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، وقال إثرها: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، فكأنَّ مجموع الجملتين يأمر بها العباد أن يُثبِتُوا ما أثبت لنفسه من سمع أو بصر أو غير ذلك على وجه لا يماثل المخلوقين؛ فإنَّ الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في المُسمَّى وهذا أمر سائغ بين المخلوقات، فإنَّ من المخلوقات ما يكون لها يد، ولكنها لا تشبه يد مخلوق آخر مع الاتفاق في الاسم.

وكذلك الصفات الأخرى من الصفات الفعلية والمعنوية لا يلزم من الاتفاق في الاسم الاتفاق في المُسمَّى، فإذا كان هذا التفاوت بين المخلوقات نفسها فكيف بين الخالق والمخلوق؟!

العنصر الرابع: صفة المحبة.

لقد أثبت الله لنفسه محبة حقيقية، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:4]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]، وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54].

فُنُتِبَ لله تعالى ما أثبت لنفسه من هذا الوصف الشريف اللطيف، وهو المحبة على وجه لا يلزم منه لازم من لوازم المخلوقين. فإذا كانت محبة المخلوق فيها رقة وانعطاف فهذا يتعلق بالمخلوق؛ أما الخالق فليس كمثله شيء، فإذا كانت ذاته سبحانه لا تشبه الذوات، فصِفاته لا تشبه الصفات. وكذلك صفة البغض وهي ضد المحبة، فإنَّ الله تعالى قد أضافها إلى نفسه، قال الله عز وجل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3]، والمقت هو: أشد البغض. وقال: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: 55] أي: أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: 55]، فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى يبغض أعداءه ويغضب عليهم.

قال تعالى أيضًا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93]. فإِنَّ الله تعالى بغض وغضب يليق به سبحانه لا يماثل بغض وغضب المخلوقين. فكما نُتِبَ لله ذاتًا لا تشبه الذوات، فإنَّ نُتِبَ له صفات لا تشبه الصفات ولا يلزم عليها شيء من اللوازم البشرية.

العنصر الخامس: صفة الفرح.

أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» [مسلم: 4927، البخاري: 6308].

فأثبت رسول الله ﷺ فرحًا للمخلوق وفرحًا للخالق، وهو الذي أنزل الله عليه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]. فحاصل ذلك أن نُثبت لله ما أثبت لنفسه، من هذا الوصف الشريف الودود وهو وصف الفرح، على وجهٍ يليق به لا يماثل فرح المخلوقين؛ فإنَّ فرح المخلوق قد يُصاحبه خِفةٌ وطيش ونحو ذلك؛ أمَّا فرح الخالق فمُبَرَّرٌ ومُنَزَّه عن جميع هذه اللوازم.

العنصر السادس: موقفنا من الأسماء والصفات.

وبالجملة فإنَّ الطريق السليم والمَهْيَعَ الرشيد، هو لزوم ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يومنا هذا، من الاعتصام بنصوص الكتاب والسُّنة وإجرائها على ظواهرها اللائقة بالله عز وجل، وعدم التعرض لها بشيءٍ من التمثيل أو التكييف، أو بشيءٍ من التحريف أو التعطيل أو التجهيل؛ وذلك أنَّ التجهيل نوعٌ من أنواع التعطيل، وهو أن يدعي مدعٍ أننا لا نعلم معنى ما أخبر الله تعالى عن نفسه، ونُسَمِّي فعله هذا تفويضًا، والواقع أنه ليس بتفويض، فإن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه وأمر بتعقله وإدراك معانيه، فقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: 29]. لم يستثنِ الله شيئًا وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2] دون أن يستثنى شيئًا من التعقل، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3] لم يستثنِ شيئًا، بل نعى على من لم يتدبر وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: 68].

فكان الواجب على أهل القرآن وأهل الإيمان أن يتدبروا معاني ما أخبر الله تعالى به عن نفسه، فيثبتوا ألفاظ النصوص، ويثبتوا معانيها كما دلَّت عليها لغة العرب، ويُفَوِّضُوا الكيفية إلى الله عز وجل؛ وبهذا تحصل لهم السلامة، ويحصل لهم الصواب في آن واحد.

حدَّث أبو عبد الرحمن السلمي، قال: "حدَّثنا الذين كانوا يُقرئونا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، أنهم كانوا لا يتجاوزون عشرة آيات حتى

يتعلموهنَّ، وما فيهن من العلم والعمل " قال: "فأوتينا القرآن والعلم والعمل". هذه طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان. وأما ما يُنسبُه أهل التجهيل الذين يُسمون أنفسهم: أهل التفويض إلى السلف، فخطأً محضٌ ودعوة باطلة وتقويلهم بما لم يقولوا؛ حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن حكى مقالة أهل التفويض، قال: "فتبينَ بذلك أنَّ مقالة أهل التفويض الذين يزعمون الانتساب إلى السُّنة واتباع السلف، من شر مقالات أهل البدع والإلحاد".

فعلينا أن نُثبت ما أثبت الله لنفسه في كتابه، وأن نُنفي ما نفى الله عن نفسه في كتابه، وأن نُثبت ما أثبت له نبيه ﷺ في سُنَّته، وأن ننفي ما نفاه عنه نبيه ﷺ في سُنَّته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الوحدة الثالثة : الإيمان بالملائكة والكتب والرسال.

الدرس الأول من الوحدة الثالثة: تعريف الإيمان بالملائكة.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من أربعة عناصر.

- العنصر الأول: من هم الملائكة.
- العنصر الثاني: عالم الملائكة عالم غيبي.
- العنصر الثالث: خلق الملائكة.
- العنصر الرابع: عمل الملائكة.

العنصر الأول: من هم الملائكة.

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان كما قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ

آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]، وكما قال نبيه ﷺ في حديث جبريل: «قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» [البخاري: 4777، مسلم: 9].

وسنسلط الضوء على هذا الركن الركين من أركان الإيمان، الذي لا يشعر كثير من المسلمين بأهميته، ولا يعيشون آثاره كما ينبغي.

من الملائكة؟ الملائكة: جمع مَلَك، وأصله في اللغة: مَأْلَك، وهو مأخوذ من الألوكة أي: الرسالة.

وأما في الاصطلاح: فإن الإيمان بالملائكة يعني: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى قد خلق عبادةً مُكرمين، خلقهم من نور، وسخرهم في عبادته، وأعطاهم القوة على ذلك ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُؤُونَ﴾ [الأنبياء: 20]. وهذا في الواقع يتضمن جملاً من مفردات الإيمان، أنهم عالم غيبي، وأنهم مخلوقون من نور، وأنهم صافون مسبحون.

العنصر الثاني: عالم الملائكة عالم غيبي.

نعتقد أن هؤلاء الملائكة عالم غيبي وأنهم عبادٌ مكرمون. فهم عالم غيبي أي لا يقعون تحت الحواس؛ فلا نبصرهم بأعيننا، ولا نسمعهم بأذاننا، ولكننا نؤمن بهم من باب الإيمان بالغيب، وهم عباد مكرمون خاضعون لربهم مُشْفِقُونَ، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 26-28]. وقال سبحانه: ﴿كَرِيمًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 11-12]، وقال واصفًا ما يعترهم من الخضوع والخشية من ربهم عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23]. فهم عباد ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، ولهذا يتبرؤون من عابديهم يوم القيامة حين يقول لهم الرب سبحانه: ﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبأ: 40-41]. فهم يتبرؤون من عابديهم الذين أشركوا بعبادتهم مع الله عز وجل، ليس لهم من خصائص الربوبية من الخلق والملك والتدبير شيء، وإنما هم مُنْقَذُونَ لما يأمرهم به الله عز وجل؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: 1-5]، كل ذلك بأمر الله تعالى وتوجيهه.

العنصر الثالث: خلق الملائكة.

مما يجب أن نعتقده في الملائكة الكرام، أنهم مخلوقون من نور، وأنهم أولو أجنحة على هيئات عظيمة متنوعة.

أمّا أنهم مخلوقون من نور فقد دلَّ على ذلك ما رواه الإمام مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» [أي: من طين [مسلم: 2996]. فهم أجسام نورانية ليسوا كالآدميين بل هم خلقٌ مستقل، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، هذا

ليس من شأنهم أي يوصفوا بالذكورة والأنوثة، فمن اعتقد أن الملائكة بنات الله فقد أعظم على الله الفرية، وقال على الله بغير علم، كما كان المشركون يزعمون أن الله اتخذ صاحبة من الجن فأنجبت له الملائكة: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف:15]، دعوة باطلة وكفر صريح.

كذلك هم أولو أجنحة، أي أصحاب أجنحة، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر:1]، وقال ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ بَعْدَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعُنُقِهِ مَخْفُوقُ الطَّيْرِ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ» [أبو داود: 4727]، هذا ملك من ملائكة الرحمن. ورأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله تعالى عليه مرتين، مرة بأجساد له ستمائة جناح قد سدَّ الأفق، ومرة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: 13].

فهم إذاً خلق عظيم، لهم هيئات عجيبة هائلة ليس لأحد أن يتخيلها، أو أن يصفها، وأن يرسمها بل يُخبر بها بما أخبر الله تعالى به فقط، ويَقْصِرُ فلا يتجاوز ذلك بغير علم.

العنصر الرابع: عمل الملائكة.

مما يجب أن نعتقده في الملائكة أنهم صافون مسبحون، أي مُنهمكون في طاعة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصفات: 165-166]. فمن شأن الملائكة الكرام الاصطفاف عند ربها، قال الله عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]، وقال نبيه ﷺ: «أَلَا تَصِفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: يَتَمَوَّنُ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ» [مسلم: 430].

كما أنهم أيضًا مُنهمكون بالتسبيح، وذلك أن الله تعالى استعملهم في هذه العبادة العظيمة، وهي عبادة مشتركة بينهم، قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ

وَالنَّهَارَ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿38﴾ [فصلت: 38] لا يفترون، لا يستحسرون، فلهم رَجَلٌ بالتسبيح لا ينقطع.

الدرس الثاني من الوحدة الثالثة: أعمال الملائكة.

رابط الدرس المرئي ([اضغط هنا للمشاهدة](#))

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من تمهيد وعنصرين.

● العنصر الأول: أعمال الملائكة ووظائفهم.

● العنصر الثاني: صلة الملائكة بنا.

تمهيد.

لا يتم الإيمان بالملائكة، حتى نعتقد أنهم عالم غيبي محبوبون عن المشاهدة: ليسوا تحت وسائل الحس البشرية، ويدل على ذلك: أن الله تعالى قال: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 22]، فهم قد طلبوا رؤية الملائكة ولكن أُنِيَ لهم. ومما لا يتم الإيمان بالملائكة إلا به أن نعتقد بما أوكل الله تعالى لهم من أعمال ووظائف.

العنصر الأول: أعمال الملائكة ووظائفهم.

هناك وظيفة مشتركة لملائكة الرحمن وهي العبادة، عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون؛ ولكن ثمة وظائف خاصة لبعضهم:

- أعظم هذه الوظائف ما يتعلق بالحياة، منها حياة القلوب، وذلك

بالتزول بالوحي، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ

مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: 52]، فالوحي هو روح القلوب، ولمّا كان كذلك

أسندت هذه الوظيفة إلى سيد الملائكة وأشرفهم وهو جبريل عليه

السلام.

- ومن ذلك حياة الأبدان، والتي يحصل بها **عود الروح إلى البدن** حين ينفخُ إسرافيل عليه السلام في الصور، فتعود كل روح إلى البدن الذي كانت تعمّره في الدنيا.
- ومن ذلك **حياة الأرض بالنبات**، وهي مهمة ميكائيل، إذ أنّه هو الموكّل بالقطر، فيحصل بنزول القطر حياة الأرض بالنبات؛ فلما كانت هذه الوظائف الثلاث متعلقة بالحياة كان أصحابها هم سادة الملائكة، (جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل).
- ومن الأعمال المُسندة لجمع من الملائكة ملك الموت الذي وُكِّل إليه **قبض الأرواح**: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: 11].
وأما قول الله تعالى: ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61]، فإنّ لِمَلَكِ الموت أعواناً من الملائكة، ولكن هو قائمهم وسيدهم عليه السلام.
- ومن مهام الملائكة ما أوكل إلى رضوان، وهو **خازن الجنة**؛ كما جاء ذلك في حديث صحيح.
- ومن مهامهم **تعذيب المشركين** في النار، تعذيب الكفار في النار ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: 30]، قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].
- ومن مهامهم **العناية بالجنين**، بتخليقه وتخطيطه، حتى إذا بلغ أربعة أشهر تسور عليه الرحم، وأمره الله تعالى بكتب أربع كلمات: بكتب "رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد".
- ومن مهام الملائكة **حفظ بني آدم**، وهم المُعَقِّبات الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11]، فهُم حفظة لبني آدم حتى إذا جاء أمر الله خلّوا بينه وبين قدر الله.

- ومن مهامهم **تثبيت المؤمنين** ونصرهم، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].
- وكذلك **سؤال الميت في قبره**؛ فإنَّ الميت إذا وُضع في قبره أتاح ملكان، ورد في حديث حسنه بعض أهل العلم، أن اسم أحدهم منكر والآخر نكير. وأما أصل المسألة، فثبت في صحيح مسلم أنهما يسألانه عن: ربه، ودينه، ونبيه. فأما المؤمن فيقول: "ربي الله، والإسلام ديني، ونبيي محمد"؛ كما سيأتي في باب الإيمان باليوم الآخر.
- ومن مهامهم أيضًا **الدعاء للمؤمنين** والاستغفار لهم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: 7].

العنصر الثاني: صلة الملائكة بنا.

بالجملة، الملائكة الكرام يُخالطوننا في جميع أمورنا، ويحبون المؤمنين مِنَّا وَيَنْصُرُونَهُمْ وَيُثَبِّتُونَهُمْ؛ بَلْ إِنَّ صَلَاةَ الْمَلَائِكَةِ بِالْأَدَمِيِّينَ بِدَأَتْ مِنْذُ الْوَهْلَةِ الْأُولَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]. ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُمْ عَلَّمُوا أَبَانَ آدَمَ طَرِيقَةَ السَّلَامِ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ أَنَّهُمْ غَسَّلُوهُ وَكَفَّنُوهُ، وَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تَصْحَبُ بَنِي آدَمَ مِنْ اسْتِيقَاضِهِ إِلَى مَنَامِهِ، وَحَتَّى فِي قَبْرِهِ، وَحَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَقْبِلُ بَنِي آدَمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِمْ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: 68]، وَحِينَمَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: 23]، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 23-24].

فالملائكة تَكْتَنِفُنَا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِنَا وَأُمُورِنَا، وَتَحْفَظُ أَعْمَالَنَا، وَتَكْتُبُ سَيِّئَهَا وَحَسَنَهَا. فَكَانَ لَزَامًا عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِوُجُودِهِمْ، وَبِمَا أَوْكَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مِنْ

أعمال، وبصفتهم وغير ذلك مما أخبر الله عنه ورسوله ﷺ.

الدرس الثالث من الوحدة الثالثة: تعريف الإيمان بالكتب.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من ثلاثة عناصر.

- العنصر الأول: حقيقة الإيمان بالكتب.
- العنصر الثاني: من مقتضيات الإيمان بالكتب.
- العنصر الثالث: موقفنا من الكتب في العصر الحالي.

العنصر الأول: حقيقة الإيمان بالكتب.

الإيمان بالكتب أصل عظيم من أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]، وكذا قال نبيه ﷺ في حديث جبريل. فما المقصود بالإيمان بالكتب؟

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل من عنده كتباً هدايةً للناس ورحمةً بهم؛ وذلك أن الكتاب يبقى إلى آماذٍ متطاولة يأوي إليه الناس ويرجعون إليه عند الاختلاف، ولا يتم الإيمان بالكتب إلا بتحقيق جملةٍ من الأمور.

العنصر الثاني: من مقتضيات الإيمان بالكتب.

- أن نعلم بأنها منزلةٌ من عند الله حقًا. فهذه الكتب ليست من كلام رسولٍ ولا من كلام ملك، وإنما هي كلام رب العالمين، فقد قال الله تعالى: ﴿وَكُتُبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَا حِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: 145]. وكذا قال: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: 46]، وقال عن محمد: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 193 - 195]،

وهذا الاعتقاد يعطيها صفة القداسة والعصمة، ويُقَطَّع الطريق على كل من أراد أن ينال منها بوجهٍ من الوجوه، وأن يُخَضِّعها لمعاول النقد والظن، وما أشبه ذلك.

- الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، وما لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً: وذلك أنَّ الله تعالى أنزل العديد من كتبه، لكنه سبحانه لم يسمِّ لنا إلا بعضُها؛ فما عَلَّمنا اسمه وجب علينا أن نؤمن به باسمه، وما لم نعلم باسمه فإننا نكتفي بالإيمان المُجمل به. وأعظم كتب الله عز وجل **القرآن العظيم** الذي أنزله الله تعالى على محمد: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]. وقبله **الإنجيل** وهو الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46]. وقبله: **التوراة** وهو الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: 44]. كما أنزل الله تعالى على داود عليه السلام **الزبور**، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ رِبُورًا﴾ [الإسراء: 55]. إذن لم يزل الله تعالى يتعاهد بني آدم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وفي هذه الكتب من الأخبار الصادقة، والشرائع العادلة، والآداب الرفيعة، والأخلاق القويمة ما لا غنى للآدميين عنه. وقد تَوَجَّعَ الله تعالى كُتُبَهُ بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، تَبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَمَوْعِظَةً: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: 57]؛ فكان القرآن العظيم قد جَمَعَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَمَكْرَمَةٍ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، كما أنَّه أيضًا قد نسخ أحكامها، فهو مُصَدِّقٌ لِّمَا يَدَّيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَمُهَيْمِنٌ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ.

العنصر الثالث: موقفنا من الكتب في العصر الحالي.

يبقى أن ننظر فيما بين الناس من هذه الكتب؛ لم يَبْقَ كتابٌ معصوم إلا القرآن العظيم؛ فإنَّ القرآن العظيم قد تكفل الله تعالى بحفظه، ولم يجعله نهبًا للتحريف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. أما الكتب السابقة، فإنها قد امتدت إليها يد التحريف فعبثت بها: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

والكتب التي يتداولها اليهود والنصارى الآن، يُسميها أهل الإسلام بالإسرائيليات نسبة إلى بني إسرائيل، والموقف منها لا يخلو من ثلاثة أمور:

- إما أن يكون ما جاء فيها موافقًا لما في كتابنا: فَتَعْتَقِدُ أَنَّ هذا من الحق الذي أبقاه الله فيها، فيجب تصديقه لأن كتابنا شهد بذلك. ومن أمثلة هذا: ما يوجد في التوراة من ذكر خلق آدم وإخراجه من الجنة، وما يوجد أيضًا من ذكر الطوفان، ومن إغراق فرعون، ومن قصة يوسف عليه السلام، بغض النظر عن ما يكتنفها من تفاصيل... فهذه مما شهد كتابنا بصحته فنُصَدِّقُه.

- أو أن تكون مخالفة لما في كتابنا: بمعنى أَنَّ كتابنا يُكْذِّبُها؛ فنعلم أنها مما كتبه بأيديهم واُفْتَرَوْه على الله عز وجل. فمن ذلك: زعمهم بأن الله تعالى صارع يعقوب، وزعمهم بأن لوطًا عليه السلام شرب الخمر وزنا بيئتيه، ومن ذلك زعمهم أن سليمان عليه السلام عبد الأصنام وعَشَتِ رُوت وبعِل وغير ذلك... وهكذا من أمور كثيرة أودَّعُوها في كتبهم؛ فنعلم أَنَّ هذا من الكذب والتحريف الذي فعلوه بأيديهم ليشتروا به ثمنًا قليلًا.

- أما القسم الثالث، فهي أن تكون غير موافقة ولا مخالفة لما في كتابنا: بمعنى أن ليس في كتابنا ما يصدقها ولا ما يكذبها. فالموقف منها حينئذٍ عدم التصديق وعدم التكذيب؛ فقد قال نبينا ﷺ: «إِذَا حَدَّثَكُمْ بَنُو

إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فعسى أن تصدقوهم في حديث كَذَّبُوكُمْ فِيهِ، وعسى أن تكذبوهم في حديث صَدَقُوكُمْ فِيهِ وقولوا ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ «[البقرة:136]. وقال في حديث آخر: «وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرْجَ» [البخاري:3461]، فدل ذلك على أن ما لم يكن مخالفاً لما في أيدينا إما بكونه موافقاً أو بكونه غير موافقٍ ولا مخالف، فإنه يجوز التحديث به، أما إن تَبَيَّنَ فِيهِ مُخَالَفَةٌ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّحْدِيثُ بِهِ.

الدرس الرابع من الوحدة الثالثة: مقتضيات الإيمان بالكتب.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من تمهيد وثلاثة عناصر.

- العنصر الأول: العمل بشريعة القرآن.
- العنصر الثاني: الإيمان بالكتاب كاملاً دون تبغيضه.
- العنصر الثالث: التحريف والاختلاف.

تمهيد.

تقدم معنا أنه لا يتم الإيمان بالكتب إلا بأمور منها:

- الإيمان بأنها منزلة من عند الله حقاً.
 - الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، وما لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً.
 - تصديق ما صح من أخبارها.
- ونتم بقية ما لا يتم الإيمان بالإيمان بالكتب إلا به.

العنصر الأول: العمل بشريعة القرآن.

ذلك أنه الكتاب الناسخ لما قبله من الكتب، فقد ذكر الله تعالى في سورة المائدة التوراة، وثني بالإنجيل، ثم ثلث في القرآن فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]. قال أهل العلم وأهل التفسير مهيمناً عليه أي: حاكماً وقاضياً وأميناً وشاهداً. ومفهوم ذلك أنه ناسخ لما قبله؛ فما أقره القرآن فهو نافذ، وما نسخه القرآن فهو لاغٍ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يقضي ما يشاء ويحكم ما يريد، حسب ما تقتضيه حكمته وعلمه بأحوال

عباده: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 106] .

فكان القرآن العظيم ناسخًا لما قبله من الكتب، وأقرَّ بعض ما فيها، ومن ذلك: إقراره للقصاص، فإنَّ الله تعالى قد قال: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: 45].

هكذا أقر الله تعالى ما في التوراة في شريعة محمد ﷺ، ثم زاد عليها: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ [المائدة: 45]، وهذا مما اختصت به شريعتنا.

فلا يجوز العمل في شريعة من قبلنا. وقد كان عمر رضي الله عنه، يختلف إلى يهودي يسمع منه بعض ما في التوراة فيعجبه ذلك، فطلب منه أن يكتب كتابًا ففعل، فأتى به عمر رسول الله ليقرأه عليه -وكان قارئًا، فجعل وجه رسول الله ﷺ يتلون غضبًا وعمر لا يشعر بذلك، حتى قال أبو بكر: "ثكلتك الثواكل أما ترى وجه رسول الله ﷺ؟"، فالتفت عمر فقال: "أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله". فقال له رسول الله ﷺ: «أُمَّتَهُوْكَونَ فيها يا ابن الخطاب؟ والذي لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى بن عمران بين ظهرانينا ما وسعه إلا اتباعي». هكذا روي بسند جيد.

العنصر الثاني: الإيمان بالكتاب كله دون تبغيضه.

ومما لا يتم الإيمان بالكتب إلا به، الإيمان بالكتاب كله وعدم تبغيضه: فإنه يجب أن نؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى، وأن نصدق ما تضمنته، وأن نعتقد أنها شريعة حقة في الوقت الذي نزلت فيه، ولا يحل قبول بعضه وردُّ باقيه. قال الله تعالى ناعيًا على بني إسرائيل: ﴿أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 85].

فلا يحل أن ينتقي المرء من شرع الله ما يوافقهِ ويلائمهِ ويهجر باقيهِ، فقد نعى الله على المشركين فقال: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: 91]، ومعنى عضين: مبعوضًا مجزأً، فيجب الأخذ به كله وعدم هجر شيءٍ منه.

العنصر الثالث: التحريف والاختلاف.

ومما لا يتم الإيمان بالكتب إلا به تحريم كتمانها، فلا يجوز كتمان شيءٍ مما أنزل الله، كذلك لا يجوز تحريفها وهو تغييرها لفظاً أو معنى، كما لا يجوز الاختلاف فيها بأن يضرب كلام الله بعضه ببعض؛ بل الواجب احترامها وإجلالها واعتقاد أن بعضها يصدق بعضاً، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: 23]، معنى متشابها: أي يشبه بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، متجانس لا اختلاف فيه.

ولا يجوز أن يُبدي الإنسان بعضها ويكتم باقيها، كما صنعت اليهود. فإن اليهود كتموا ما أنزل إليهم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: 159].

كما لا يجوز تحريفها، وهو أن يزعم زاعم أن مراد الله بكذا كذا وكذا بلا أثارة من علم، بل بمجرد هوى أو اعتقادٍ فاسد، كما وقع من كثير من المتكلمين في هذه الأمة، وكما وقع من بني إسرائيل قبل ذلك، حينما حرفوا كتابهم تحريفاً لفظياً وتحريفاً معنوياً.

وبالجملة فالواجب علينا إكرام كتب الله وإجلالها؛ ولما زنى يهودي بيهودية زمن رسول الله ﷺ، قال بعضهم لبعض -وقد كانوا يعلمون أن حكم الزنى حال الإحصان هو الرجم- فقالوا: "إن هذا نبي بُعث بالتخفيف فلو أننا أتيناه"، فأتوا رسول الله ﷺ فقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 93]، وواعدهم بيتاً يجتمعون فيه، فأتوا بالتوراة محمولة -لأنها كانت كبيرة-، وكان رسول الله ﷺ جالساً على وسادة، فنزع الوسادة ووضعها على الأرض، ووضع عليها التوراة وقال:

"آمنت بك وبمن أنزلك" ثم جعل القارئ يقرأ، فلما بلغ القارئ موضع آية الرجم، وضع أصبعه عليها، وقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال عبد الله بن سلام: "ارفع أصبعك"، فإذا آية الرجم، فأمر النبي ﷺ برجمهما، وأحيا هذه الشريعة التي كتمتها اليهود وحرفتها عن مراد الله تعالى.

فهذه كتب الله يجب الإيمان بها كما أمرنا ربنا بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ [العنكبوت: 46]، أمّا ما بين أيديهم فلمّا كان قد دخله التحريف، فإنّا لا نؤمن به على إطلاقه بل من على حسب التفصيل السابق في الإسرائيليات.

وبالمناسبة فإنه لا يجوز أن تُوصف تلك الكتب التي بأيديهم الآن، بأنها كتب مقدّسة أو أنها كتب سماوية؛ لما قد علمنا من طروء التحريف عليها. ولا يجوز أيضًا أن يُضمَّ بعضها إلى بعض مع القرآن في غلاف واحد، كما دعا إلى ذلك بعض الضالين، بل الواجب تنزيه كتاب الله الخاتم وتبرئته عما شاب الكتب السابقة من تحريف وعقائد باطلة.

الدرس الخامس من الوحدة الثالثة: الإيمان بالرسول ومقتضياته.

 رابط الدرس المرئي ([اضغط هنا للمشاهدة](#))

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من عنصرين.

- العنصر الأول: معنى الإيمان بالرسول.
- العنصر الثاني: مقتضيات الإيمان بالرسول.

العنصر الأول: معنى الإيمان بالرسول.

الركن الرابع من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالرسول كما نص عليه قول الله تعالى: ﴿كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]، وكما ربَّع به نبينا ﷺ بقوله في حديث جبريل: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ.» والإيمان بالرسول يعني الاعتقاد الجازم، بأن الله تعالى اصطفى من خلقه رُسُلًا، يعني: عن علمٍ وحكمة، ووكل إليهم أمر إبلاغ عباده برسالاته.

العنصر الثاني: مقتضيات الإيمان بالرسول.

ولا يتم الإيمان بالرسول إلا بجملةٍ من الأمور:
أولها: **الإيمان بأن رسالتهم من عند الله حقًا.** أي أنهم لم يفتاتوا ذلك من تلقاء أنفسهم، ولا حصل لهم ذلك بالريادة والاجتهاد والدُّربة، ولا نالوه باجتماع أوصاف معينة كما يدَّعي كثير من الضالين؛ وإنما اختصهم الله تعالى برحمته وفضله، وانتقاهم من بين عباده، واختارهم لكي يكونوا وسطاء بينه وبين خلقه في تبليغ رسالاته، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124]، وكما قال: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: 75]. ولَمَّا قالت قريش: "لِمَ لَمْ يُزَلْ هذا القرآن على عُتبة بن ربيعة أو عروة بن مسعود الثقفي وهما سيدا قريش

وثقيف؟"، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: 31-32].

إذن هو فضل من الله ورحمة، اختص الله تعالى بها من شاء من عباده؛ ولم يكن لهؤلاء المصطفين الأخيار يدٌ في ذلك؛ كما تزعم الصوفية أو كما يزعم بعض غلاة الصوفية أن النبوة تُنال بالريادة والدربة والمجاهدة. حتى أنه لَمَّا أعياهم الأمر ولم يتمكنوا من بلوغ هذه الرتبة، قَلَبُوا الأمر فجعلوا الولاية أفضل من النبوة، وقال قائلهم:

مقام النبوة في برزخ *** فويق الرسول ودون الولي

فَقَلَبُوا السُّلَمَ، وجعلوا أدنى درجة أعلاها، وأعلى درجة أدناها؛ والصحيح أن أعلى الدرجات الرسالة ثم النبوة، وبعدها بمراحل الولاية. إذ النبي والرسول يُوحى إليهما من عند الله، أمّا الولي فهو تابع للرسول أو النبي إن كان ولياً حقاً.

وكذلك ما ادعته الفلاسفة، من أن النبوة تُنال باجتماع أوصاف سمّوها وهي القوة الحدسية، والقوة التخيلية، والقوة التأثيرية؛ فكل هذه مزاعم باطلة، بل هي من الكفر والزندقة، فلا بد من الإيمان بأن رسالة أنبياء الله، من عند الله حقاً.

الأمر الثاني: **الإيمان برسل الله جميعاً**. وذلك أن رسل الله دعواهم واحدة، ولأجل ذا قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 105]، مع أنه أول رسول أرسل إلى الناس، فجعل الله تكذيبهم لرسول واحد تكذيباً لجميع المرسلين؛ لأن دعوة الأنبياء واحدة، قال الله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]. فالدين واحد، ودعوة الأنبياء واحدة، والأنبياء إخوة لِعَلَّات، دينهم واحد وشرائعهم شتى؛ فمن كَذَّب رسولاً من رُسُل الله فقد كَذَّب بهم أجمعين. فيجب أن نُؤمن بهم جميعاً، ونؤمن بكل من أرسله الله تعالى إلى عباده، وأن نُنزلهم منازلهم، ولا نَغْمِطُ أحداً حقّه.

وقد كفرت اليهود بإنكارهم رسالة عيسى ومحمد عليهما صلوات الله وسلامه، وكفرت النصارى بإنكارهم رسالة محمد ﷺ؛ وأمّا أهل الإسلام فإنه يؤمنون بجميع أنبياء الله، ولا يفرّقون بين أحدٍ من رسل الله، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: 150-151].

الأمر الثالث: تصديقهم وقبول ما أخبروا به من عند الله: فما أخبرت به رسل الله فهو حقٌّ ووحىٌ معصوم، لا يمكن أن يتطرّق إليه شيء من إلقاء الشيطان، ولو وقع شيء من ذلك لنزّهه الله منه وخلّصه من شوائبه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]. ومعنى تمنى أي: تلا، وأمنيته أي: تلاوته، ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52]. [وقال في حق نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4]. فجميع ما أخبروا به عن الله فهو حق وصدق في أخباره، وهو عدل في أحكامه في الوقت الذي نزل فيه.

وأما الأمر الرابع: وجوب طاعتهم واتباعهم والتحاكم إليهم. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: 64]. وقال سبحانه آمراً نبيه محمداً ﷺ أن يعلن إعلاناً عالمياً للناس جميعاً: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]. وقد جعل الله تعالى آية المحنة قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: 31]. ولا بد من التحاكم إليهم وعدم التحاكم إلى من سواهم، قال ربنا عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ

بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿ [النساء: 60-63]. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: 64].

والأمر الخامس: موالاتهم ومحبتهم وتوقيرهم والسلام عليهم. حريٌّ بمن اختاره الله سفيراً بينه وبين خلقه، أن يكون له من المنزلة والمقام ما يستحق به هذه الأحكام، فلا بد من موالاته أي: محبته ونصرته، ولا بد من تقديم محبته على محبة كل أحد، كما قال نبينا ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [البخاري: 15، وسلم: 44]، «فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ» [البخاري: 6632].

كذلك لابد من توقيرهم بمعنى إجلالهم: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: 9].

وكذلك أيضاً من حقهم السلام عليهم، فقد قال ربنا عز وجل: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: 181]، وذلك لسلامة ما قالوه من النقص والعيب؛ ولنبينا ﷺ من ذلك أوفر الحظ وأوفاه، فقد قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]. فجمع الله له بين الصلاة والسلام معا.

فالواجب على كل مؤمن إعطاء أنبياء الله حقهم من المحبة والتوقير والموالاة، وعدم التفريق بينهم، وتنزيلهم منازلهم، وإعطاءهم فضائلهم.

والعلم بأن الله فاضل وخاير بينهم، لكن لا يُخاير بينهم على سبيل التَّنْقِصِ كما الأ على سبيل المباهاة والتفاخر، والسبب والتنقص للطرف الآخر فإن ذلك مُحَرَّم؛ أمّا وجود الفضل، فقد قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253].

الوحدة الرابعة: الإيمان باليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

الدرس الأول من الوحدة الرابعة: الإيمان باليوم الآخر ومقتضياته.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من أربعة عناصر.

- العنصر الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر.
- العنصر الثاني: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما بعد الموت.
- العنصر الثالث: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالساعة وأشراتها.
- العنصر الرابع: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث.

العنصر الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر.

الإيمان باليوم الآخر، هذا الركن العظيم الذي يَقْرِنه بالله تعالى بالإيمان به في غير ما موضع، فقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 177]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 62]. وقال في موضع: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: 21].

فالإيمان بالمعاد أصل عظيم جاء به كل رسول، ونطق به كل كتاب، ولا يمكن لأحد أن يُنكر المعاد إلا أن يكون كافراً. فالإيمان باليوم الآخر هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أجّل الناس ليوم يُبعثون فيه بعد موتهم، ويُجزون على أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

العنصر الثاني: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما بعد الموت.

الذي يكون بعد الموت هو فتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه؛ وذلك أنَّ الإيمان باليوم الآخر يكون ابتداءً من حين أن تقوم قيامة الإنسان، والقيامة قيامتان: قيامة صُغرى تتعلق بكل إنسان على حدة، وهي مفارقة الروح للبدن. وقيامة كبرى: وهي التي يَحْصُلُ بها هلاك العالم، واندثار نظام الدنيا.

فلا بد من الإيمان بما يكون بعد الموت. وأوَّلُ ذلك هو فتنة القبر، وذلك يعني سؤال الملكين للميت عن ثلاثة مسائل: عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه، كما صَحَّ ذلك في الحديث الصحيح: أَنَّهُ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَسْأَلَانِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ؛ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُرْتَابُ أَوِ الشَّاكُّ فَيَقُولُ: هَا، هَا، لَا أَدْرِي! سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ. فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَيَصْبِيحُ صَبِيحَةً يَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقْلَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الثَّقْلَانِ لَصَبَحَا، ثُمَّ يَعْقَبُ ذَلِكَ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ؛ نَعِيمٌ يَتَنَعَّمُ بِهِ الْمُؤْمِنُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: "أَنَّهُ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَنَعِيمِهَا، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرَّيْحِ يَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ أَوْ عَذَابٌ دَائِمٌ وَهُوَ مَا يَقَعُ لِلْكَافِرِ، فَيُفْتَحُ لَهُ فَتْحَةٌ إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ سُمُومِهَا وَقَشْبِهَا، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ بَشَعُ الْمَنْظَرِ مِثْنُ الرَّيْحِ يَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئُ، فَلَا يَزَالُ فِي عَذَابٍ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ".

لكن ربما لَحِقَ بِبَعْضِ عُصَاةِ الْمُؤَحِّدِينَ شَيْءٌ مِنَ الْعَذَابِ الْمُؤَقَّتِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: "مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ: بَلَى» أَي: أَنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، يَعْنِي فِي أَمْرٍ يَشُقُّ عَلَيْهِمَا، وَيَكْبُرُ عَلَيْهِمَا تَلَاْفِيهِ، وَلَكِنَّهُ فِي حَقِيقَتِهِ كَبِيرٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ أَي: الْقَالَ بَيْنَ النَّاسِ -، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنَ الْبَوْلِ، ثُمَّ أَخَذَ عَوْدًا فَكَسَرَهُ بَاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرِ ثُمَّ قَالَ: (لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا الْعَذَابُ مَا لَمْ يَبْسَا » [رواه مسلم: 292]. فهذا مما يجب الإيمان به، مما له تعلق باليوم الآخر.

العنصر الثالث: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالساعة وأشراتها.

الإيمان بالساعة حق، على كل مسلم أن يعتقد أن الساعة حق، ﴿مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: 17]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات: 42: 44]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: 187].

وحين سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الساعة قال: «فمَتَى السَّاعَةُ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» [البخاري: 50، مسلم: 9]. فأمر الساعة خفي لا يعلمه إلا الله؛ فمن ادَّعى علم الساعة فقد كَذَبَ، فهذا مما استأثر الله بعلمه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34]، وقد قال النبي ﷺ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ» [البخاري: 7379]، ثم تلا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34]. فمهما ادعى مُدَّعٍ، أَنَّ خراب العالم ونهاية الدنيا سيكون عام كذا وكذا، فهو أَفَّاكَ أَثِيمٌ. ومن شأن الساعة أنها تأتي بغتة، ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: 187]، ومن شأنها أنها سريعة ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: 77].

فيجب الإيمان بالساعة، وإذا وقعت الساعة اندثر نظام العالم كما وصف ربنا عز وجل: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 1-6]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: 1-4]. جاء في حديث: «من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأيُّ عينٍ فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾» [أخرجه الترمذي: 3333، وأحمد: 5755 واللفظ له].

وبين يدي الساعة تقع علامات سمَّاها الله تعالى: أَسْرَاطًا. قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: 18]، لا ينفعهم ذلك. وأشراط الساعة نوعان: أشراط صغرى وأشراط كبرى. - فأما الأشراط الصغرى: فهي كل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بين يدي الساعة، وأول ذلك: ولادته، ثم مبعثه ﷺ، ثم وفاته، إلى أن تَبْتَدَأَ أَشْرَاطُ

الساعة الكبرى العشر، فما بين ذلك كله أشراط صغرى. فمن ذلك مثلاً: طاعون عمواس الذي أصاب المسلمين في بلاد الشام، ومنه فتح بيت المقدس، وفتح القسطنطينية، ومنه انحسار الفرات عن جبل من ذهب، ومنه فُشُو الجهل، وانتشار الزنا والربا، وتقارب الأسواق وغير ذلك من العلامات التي تبلغ العشرات.

- وأما أشراط الساعة الكبرى: فهي ما دل عليه حديث أبي جحيفة الغفاري قال: **أَطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ فَقَالَ «مَا تَذْكُرُونَ» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدَّخَانَ وَالدَّجَالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَ خُسُوفٍ خَسَفَ بِالْمَشْرِقِ وَخَسَفَ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»** [مسلم: 2901].
أو كما قال النبي ﷺ.

وهذه الأشرط الكبرى إذا ابتدأت فكعقْد انقطع نظامه؛ أي أنها تتتابع ويأتي بعضها إثر بعض، فلا بد من الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ، وهذا له تعلق باليوم الآخر.

العنصر الرابع: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث.

المقصود بالبعث، هو إخراج الله تعالى للموتى من قبورهم حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا، بُهْمًا، كما وصف النبي ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها: **«يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»** [البخاري: 6527]، وفي رواية: **«بُهْمًا»** أي: حفاة غير منتعلين، عراة: غير مُكْتَسِينَ، غُرْلًا: أي غير مختونين. بمعنى أن القُلْفَة التي تكون على رأس الذكر عند الولادة تعود مع صاحبها، **﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾** [الأنبياء: 104]، بُهْمًا: ليس معهم شيء. فتتشقق الأرض عن هذه الأجداث ويخرج الناس، يخرجون قيامًا لرب العالمين: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ**

اللَّهُ ﴿ [الزمر: 68]، هذه نفخة الصعق. ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر: 68]، وقد وصف الله تعالى هذا المشهد بقوله: ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ [القمر: 7-8]. فيُقَاد الناس إلى أرض المحشر، وأرض المحشر أرض مبدلة ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: 48]. فالله تعالى يُعيد تخليق الأرض، فبدلاً من كونها كروية تعود ممدودة كمَدِّ الأديم، ليس فيها مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ، لا جبل يُرْتَقَى، ولا وادي يُهْبَط، ولا مغارة يُكْتَنُّ بها؛ بل الجميع ضاحون لرب العالمين على نَسَقٍ واحد. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: 51-52].

فهذا هو البعث الذي وصفه النبي ﷺ فيجب الإيمان به، ومن أنكر البعث فقد كفر، قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: 7].

الدرس الثاني من الوحدة الرابعة: الإيمان بالقيامة الكبرى وبالحساب والجزاء.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من ثلاثة عناصر.

- العنصر الأول: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالقيامة الكبرى.
- العنصر الثاني: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالحساب.
- العنصر الثالث: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجزاء.

العنصر الأول: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالقيامة الكبرى.

قد سبق مَعْنَا أنه لا يتم الإيمان باليوم الآخر، إلا بالإيمان بما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه، ومن الإيمان بالساعة وأشراطها، ومن الإيمان بالبعث. ونضيف إلى ذلك أنه لا يتم الإيمان باليوم الآخر إلا بالإيمان بالقيامة الكبرى وهي قيام الناس لرب العالمين، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 6].

وإنما سميت القيامة بهذا الاسم لأسباب منها ما تَلَوْنَا آنفًا وهو: **قيام الناس لرب العالمين، ومنها إقامة العدل** لقول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: 47]، ومنها ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [الأنبياء: 47]. فسميت القيامة لقيام الأشهاد، والمقصود بها ما يجري من بعد بعث الناس وانشقاق القبور عنهم إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. وذلك يوم عظيم، ويوم طويل، ويوم مهيب، ويوم عسير إلا على من يسره الله عليه، فيجري في ذلك اليوم أحداث جسام منها: أَنَّ الناس إذا انشقت عنهم قبورهم دنت منهم الشمس قدر ميل أو ميلين، فيلحقهم من جراء ذلك عرقٌ عظيم وحر شديد؛ حتَّى إِنَّ العرق ليسخ في الأرض سبعين ذراعاً، ويعرق الناس على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يبلغ العرق كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم

من يبلغ حقويه، ومنهم من يبلغ ثدييه، ومنهم من يبلغ ثرؤوته، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما، وفي ظل هذا الحر العظيم الشديد يهرع المؤمنون إلى حوض نبينا ﷺ. فقد ثبت في الصحاح والسنن والمسانيد أن النبي ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض» [البخاري: 6575]، وأخبر أنّ حوضه مسيرة شهر كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وأنه أحلى من العسل، ورائحته أطيب من رائحة المسك، وأبيض من اللبن، وأن عدد كيزانه عدد نجوم السماء، فيتهافت الناس من أمته للشرب من حوضه، فيناولهم ﷺ، فمن شرب منه شربة واحدة لم يظمأ بعدها أبداً. وأما من بدّل وأحدّث فإنه يُذاذُ عنه، كما في الحديث: «ليزادنّ أقوام من أمتي، فأقول: أَصِيحَابِي أَصِيحَابِي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: فبُعْدًا لِمَن أحدث بعدي وسُحْقًا».

ومما يقع في ذلك اليوم **نشر الدواوين**: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 13-14]، ومعنى منشورا: يعني مفتوحًا يجد فيه كل ما عمل.

ومما يقع في ذلك اليوم **نصب الموازين**: قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47]، وظاهر الآية يدل على أنّها موازين متعددة، وقيل إنّها ميزان واحد، وإنّما عُدّدت بالنظر إلى مجموع الوزن فيها. وأيّاً كان ذلك، فالأمر قريب ويجب إثبات الميزان إثباتاً حقيقياً من كونه ميزانا له لسان وكفتان، كما دل على ذلك حديث البطاقة.

العنصر الثاني: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالحساب.

ذلك اليوم هو يوم الحساب: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25-26]. وينبغي أن نعلم أن حساب الخلائق على نوعين: حساب الكافرين وحساب المؤمنين.

- فأما **حساب الكافرين**: فهو أن يُقَرَّروا بذنوبهم وشركهم وأعمالهم، فيُقَرُّوا بها ويعترفوا على رؤوس الخلائق فضيحة لهم، وإقامة للحجة عليهم، ثم يُقَذَّفون في النار.

- وأما **حساب المؤمنين**: فإنه على نوعين: عرض، ومناقشة. فأما العرض فهو لمن سبقت له من الله الحسنى، فقد جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرْهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟** فيقول: **نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْرِفُهَا لَكَ الْيَوْمَ**» [البخاري: 2441، ومسلم: 2768]، فما أهنأه! وما أسعده! حين يقرع سمعه هذا الكلام من لَدُنْ رَبِّ رحيم، ودود غفور، سبحانه وبحمده. هذا إنما يكون لمن أراد الله تعالى أن يغفر له، وأن يرحمه، وأن يعيده من النار. وأما من أراد الله تعالى أن يعذبه من عَصَاة الموحدين، فإنه يُنَاقِشُ مناقشةً، والدليل على ذلك أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حُوسِبَ عَذِّبَ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ فَقَالَ: «**إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَكِنْ مَن نُوَقِّشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ**»، أي: إذا دُقِّقَ معه، فهذا دليل أنه سيعذب بقدر ذنبه، إقامةً للحجة عليه. فهذا هو الحساب، فيجب الإيمان بالحساب على هذه الصفة التي أخبر بها نبينا ﷺ.

بقي بعد ذلك أن نؤمن بما يجري بعده وهو **العبور على الصراط**: فإن الناس يُؤْمرون بجواز الصراط، وهذا من أصعب مواقف القيامة؛ حتى إنَّ أولي العزم من الرسل، مقالَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ: اللهم سلم سلم. والصَّراط: هو الجسر المضروب على متن جهنم.

جاء في بعض الأحاديث أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأحر من الجمر، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**إِنَّهُ مَذْحَضَةٌ مَرَّلَةٌ**»، فيؤمر الناس بالجواز عليه، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كشعشة البرق، ومنهم من يمر كالريح المُرسلة،

ومنهم من يمر كالجواد المضمر، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمر يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، -أي: يمشي على مقعدته- وعلى جنبتي الصراط كلاليب -جمع كُوب وهي حديدة معقوفة شبهها النبي ﷺ بشوك السعدان وهو شيء يعرفونه في باديتهم-، فتخطفُ الناس بأعمالهم، قال رسول الله: «فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» [مسلم: 195]، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 71: 72].

فإذا جاز أهل الإيمان الصراط، اجتمعوا في موضع يقال له: القنطرة، وذلك لكي يتغافروا ويتعافوا ويصفح بعضهم عن بعض؛ لما كان بينهم من محنٍ وشجار في هذه الدنيا، حتى يدخلوا الجنة على أكمل زينة ظاهرة وباطنة.

العنصر الثالث: من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجزاء.

المراد بالإيمان بالجزاء الإيمان بأن الله تعالى خلق الجنة والنار، خلق الجنة جزاءً للمتقين، وخلق النار جزاءً وعقوبةً للكافرين. فالجنة هي الدار التي أعدّها الله لأوليائه، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فيها من صنوف النعيم الحسي والمعنوي ما لا يخطر ببال. فيها حورٌ وقصور، فيها مآكل ومشارب من ماء غير آسن ولبنٌ لم يتغير طعمه، وخمر لذة للشاربين، وعسل مصفى إلى غير ذلك من صنوف النعيم. فمن دخلها، لم يخرج منها.

وأما النار والعياذ بالله، فهي الدار التي أعدّها الله لأعدائه من الكافرين والمشرّكين، فيها من صنوف العذاب الحسي والمعنوي ما لا يخطر ببال: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبِّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنّا نَعْمَلْ﴾ [فاطر: 37]، ﴿عَلَيْهَا مَلّايْكَةُ غِلّاظٌ شِدّادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلّايْكَةً وَما جَعَلْنَا عِدَّتَهُم إِلَّا فِئْتَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: 31].

فيجب الإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان الآن، لقول الله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أو ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾. وقد أرى النبي ﷺ الجنة والنار في صلاة الكسوف، حتى إنه تقدّم وتأخّر.

تقدم لما أرى الجنة لِيَقْطِفَ قُطْعًا من عنب، وتأخّر لما رأى النار يَهْضِم بعضها بعضها. كما يجب الاعتقاد بأنهما باقيتان لا تفنيان، وأنهما الآن يُزاد فيهما إمّا في نعيم الجنة، وإمّا في عذاب النار.

ولا يجوز الاعتقاد بأنّ الجنة والنار تفنيان، بل هما باقيتان لأن الله تعالى قد أثبت في كتابه ذكر الخلود، قال خالدين فيها أبدًا في حق المؤمنين، وخالدين فيها أبدًا في حق الكفار.

فبهذه الأمور الستة يتم الإيمان باليوم الآخر. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الفائزين وأن يجنبنا طريق الزائغين.

الدرس الثالث من الوحدة الرابعة: تعريف بالإيمان بالقضاء والقدر.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من عنصرين.

- العنصر الأول: حقيقة الإيمان بالقدر.
- العنصر الثاني: مقتضيات الإيمان بالقدر.

العنصر الأول: حقيقة الإيمان بالقدر.

مَنْ تَأَمَّلَ فِي جَوَابِ النَّبِيِّ ﷺ لِجَبْرِيلَ، وَجَدَ فِيهِ مَا يُلَفِّتُ الْإِنْتِبَاهَ. فَإِنَّهُ لَمَّا بَلَغَ الْقَدْرَ قَالَ: «وَتُؤَمِّنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ» [البخاري: 50، مسلم: 106] ، فأعاد ذكر العامل بقوله: «وَتُؤَمِّنَ»، وفَصَّلَ فيه ما لم يُفَصِّلَ في غيره، فقال: «خَيْرُهُ وَشَرُّهُ». وما ذاك إلا لاشتباه أمر الإيمان بالقضاء والقدر على كثير من الناس، وحصول لبسٍ لهم فيه، وهو بحمد الله بَيِّنٌ ظاهر لمن أراه الله تعالى إياه وَبَيَّنَّهَ لَهُ.

الإيمان بالقدر هو: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى عِلِمُ مقادير الخلائق قبل أن يَخْلُقَهُمْ، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وشاءه منهم وخالقه سبحانه.

العنصر الثاني: مقتضيات الإيمان بالقدر.

وبهذا يتبين أنه لا يتم الإيمان بالقدر إلا بعدة أمور:

- **الإيمان بعلم الله:** الاعتقاد الجازم بعلم الله المُحِيط بكل شيء، جملةً وتفصيلاً، كلياً وجزئياً، ما يتعلق بأفعاله هو سبحانه: كالخلق والرزق والآجال، وما يتعلق بأفعال عباده: من الطاعات والمعاصي. فَقَدْ عِلِمَ سبحانه ما كان وما يكون، وما سوف يكون، وما لم يكن، كيف لو كان يكون. فلا يمكن أن يكون شيء قد خفي عن الله عز وجل، كما ادعى

القدرية أن الأمر أنْف، وأن الله تعالى أمر العباد ونهاهم، وأنه لا يعلم ما هم عاملون حتى يقع الأمر منهم؛ فلا ريب أن هذا وصف لله تعالى بالجهل سبحانه عما يقولون علواً عظيماً، فقد علم ربنا كل شيء. ويدل على علم الله تعالى، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: 62]، ﴿لَا يَغْرِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: 3].

- الإيمان بكتابة الله تعالى للمقادير في اللوح المحفوظ: كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70]، فدلّت هذه الآية على إثبات العلم والكتابة معاً، وقال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لَّكِنَّا تَأَسَّوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 22-23]. فقد علم سبحانه وكتب.

جاء في صحيح مسلم، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ..»، «..حتى العجز والكيس»، أي: حتى الصفات النوعية للناس من: الكياسة والحزم، أو ضدها من العجز والتهاون، قد كتبها الله تعالى.

- الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة: وهو أن يعتقد الإنسان اعتقاداً جازماً بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29]، وقال قبلها: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 28-29]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40]، فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا رادّ لما قضى، فمن أنكر مشيئة الله أو أنه يقع في ملكه ما لا

يُريد فقد وصف الله تعالى بالعجز. فيجب الاعتقاد الجازم بأن مشيئته نافذة وقدرته تامة.

- الإيمان بخلق الله تعالى لجميع الكائنات وإيجاده لها: وبه يتم الإيمان بمراتب القدر، وهو أن يعتقد الإنسان اعتقادًا جازمًا بأن الله هو الخالق وما سواه مخلوق. الله خالق كل شيء، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]، فقد خلق الله تعالى ذوات الأشياء وحركاتها وصفاتها قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: 96]. فلا يمكن أن يوجد شيء خارج عن خلق الله، فمن زعم أن أحدًا يخلق شيئًا دون الله فقد أشرك في الربوبية. ولما كانت المعتزلة تزعم هذا الزعم، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ومن قبلهم غلاة القدرية سُمُوا: مجوس هذه الأمة؛ لأنهم أثبتوا خالقًا مع الله، بل أثبتوا خالقين مع الله عز وجل بعدد الناس. فلا يتم الإيمان بالقدر إلا بأن نعلم بأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا وقد علمه الله منذ الأزل، وكتبه في اللوح المحفوظ، وشاء ممن صدر منه وخلقه. فبهذه المراتب الأربعة يتم الإيمان بالقدر.

الدرس الرابع من الوحدة الرابعة: مقتضيات الإيمان بالقضاء والقدر.

رابط الدرس المرئي (اضغط هنا للمشاهدة)

عناصر الدرس: يتكون هذا الدرس من مسائل متعلقة بمقتضيات الإيمان بالقدر.

مسائل متعلقة بمقتضيات الإيمان بالقضاء والقدر.

تبين لنا أنفا مراتب القدر الأربعة: العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق والتكوين. وقد كان غلاة القدرية ينكرون هذه المراتب الأربع كلها، ولهذا لم يتردد أهل السنة في تكفيرهم، ثم جاء من بعدهم: المعتزلة فأرادوا أن يُلَطَّفُوا شناعة مقالة القدرية الأولى، فأثبتوا العلم والكتابة، وأنكروا المشيئة والخلق. وبإزاء هؤلاء القوم قوم يقال لهم: الجبرية، زعموا ضد ذلك، زعموا أنَّ العبد مَسْلُوبُ الإرادة والفعل، وأنه كالريشة في مهب الريح، وكالقشة فوق سطح الماء يعلو بها ويهبط، وكالمسمار في تُرْسٍ يدور لا مشيئة له ولا إرادة. وكما قيل: وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

فالقدرية غَلَوْا في إثبات أفعال العباد حتى سلبوا الله سبحانه وتعالى مشيئته وقدرته، والجبرية غَلَوْا في إثبات أفعال الله حتى سلبوا العبد فعله ومشيئته، وتوسَّط أهل السنة والجماعة في هذا الأمر، فأثبتوا للعباد مشيئةً وفعلًا تابعين لمشيئة الله وقدره، وذلك موافقةً لخبر الله؛ حيث قال الله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 28]، فأثبت الله لنا مشيئةً وفعلًا إذ الاستقامة فعل، ثم بعد ذلك قيَّده وأحاطه بقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29].

أثبت الله تعالى للعباد فعلًا وإرادةً بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: 5-7]، فالعبد هو الذي أعطى، وهو الذي اتقى، وهو الذي صدَّق، وبالمقابل: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: 7-9]، فالعبد هو الذي بخل واستغنى وكذَّب، فأُسند الله الأفعال إلى كليهما؛ أسند

الطاعات والتصديقات إلى المؤمن، وأسند المعاصي والتكذيب إلى الكافر، وهذا يدل على صدوره منهما حقيقة لا مجازاً.

وقال سبحانه مُثَبِّتًا هذه المشيئة للعبد: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223]، فدلَّ على إثبات مشيئة حقيقية للناس، بل إنَّ كل واحدٍ فينا يستطيع أن يُميِّز بين أفعاله الاختيارية وأفعاله الاضطرارية، فشأن بين حركة من يشير بيده للتحية أو يشير إلى صاحبه بأمر ما، ويُنَّ من تتحرك يده من جراء البرد أو الخوف تَنْتَفِض. وشأن بين من يُنْزِلُ من علُو البيت إلى سُفله عتبة عتبة، وبين من يتدحرج حتى يصل إلى القاع. شأن بين الأمور الإرادية الاختيارية، وبين الاضطرارية القهرية، وكل عاقل يميز بينهما؛ وهذا يدل على فساد قول الجبرية.

لهذا نضيف إلى ما لا يتم الإيمان بالقدر إلا به أن ننبه على أنه:

- لا تلازم بين المشيئة والمحبة: فقد يشاء الله ما لا يُحب، وقد يحب ما لا يشاء. قد يشاء الله ما لا يحب، فقد شاء الله سبحانه وتعالى مشيئةً كونية سابقة أن ينقسم الناس إلى مؤمن وكافر، مع أنه سبحانه لا يحب الكفر، لكنه سبحانه وتعالى شاء ذلك لحكمة غائية واعتباراتٍ مآلية. كما أنه سبحانه قد يحب ما لا يشاء؛ فالله يحب أن يؤمن الناس جميعاً، ولكنه لم يَشَأْ ذلك لما يترتب على ذلك من الحكم الغائية والمقاصد العظيمة. ونضرب لذلك مثلاً بيّناً: قد شاء الله تعالى خلق إبليس مع أنه سبحانه لا يحب ذلك، وإنما شاءه لما يترتب من المصالح العظيمة على خلقه، فلولا خلق إبليس ما تميَّز المؤمنون من الكفار، ولا الأبرار من الفجار، ولا قام سوق الجنة والنار، ولا وُجدت التوبة، ولا النصيحة، ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا الجهاد في سبيل الله، بل ولا ما ظهرت معاني أسماء الله الحسنى من: أسماء الجلال والكبرياء أو من أسماء الجمال والكمال، فلهذا تعالى حكمة غائية في مثل هذا. وهكذا، فإنَّه يجب علينا أن لا نصنع تلازماً بين المشيئة والمحبة، فإنَّ هذا هو الفخ الذي وقع به الجبرية، فظنوا أنَّ كل ما يقع فهو محبوبٌ لله تعالى،

حتى إنهم سَوَّغُوا الكفر والفسوق والعصيان بدعوى شهود الحقيقة الكونية.

- لا تعارض بين الشرع والقدر: بمعنى أنه لا حُجَّة لأحدٍ بقدر الله على مخالفة شرع الله، فوُجِدَ من الناس قديماً وحديثاً من إذا اقترف معصية تحجَّج بالقدر، وقع ذلك من المشركين الأوائل، وحكى الله مقاتلتهم وأجاب عليها بثلاث أجوبة، قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 148]، هذه مقاتلتهم وهي في ظاهرها تبدو صحيحة، نعم لو شاء الله ما أشركوا، ولا آباءهم ولا حَرَمُوا مِنْ شَيْءٍ؛ لكنَّ الله رَدَّ عليهم بثلاثة ردود فقال أولاً: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: 148]، فسَمَّى مقاتلتهم كذباً، والكذب هو مخالفة الخبر للواقع. ثم قال: ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَاسَنَا﴾ [الأنعام: 148]، ولو كان لهم حجة في القدر ما أذاقهم الله بأسه؛ لأن الله حكَمَ عدل مقسط لا يظلم مثقال ذرة. ثم جاءت الثالثة الناسفة لدعواهم من جذورها، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [الأنعام: 148]، أي: هل اطلعتم على كتابكم وقدركم السابق فوجدتم فيه أنكم تشركون، وأنكم تُحَرِّمون ما أحل الله وتُحِلُّون ما حَرَّمَ الله، ففعلتم ما فعلتم بناءً على ذلك القدر السابق والكتاب المحفوظ!! الواقع أنهم لا يستطيعون أن يدَّعوا هذه الدعوة، إذن ما حقيقة الأمر؟ ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 148]، فتبيَّن بذلك أنه لا حجة لأحد على معصية الله بقدر الله لِمَ؟ لسبب بسيط جداً وهو: أحداً كائناً من كان، لا يعلم بقدره إلا بعد وقوع الفعل منه، لا أحد يعلم ما قُدِّرَ عليه قبل وقوع الفعل، لو كان يعلم لكان له بذلك عذر، لكن الله غيَّبه عنه.

لله تعالى كتابان: كتابٌ مفتوح، وكتاب مكنون.

كتابه المفتوح: هو الشرع، أبان الله الحلال والحرام، وأن هذا طريق الجنة وهذا طريق النار. **وكتابه المكنون:** وهو القدر، فهو غيبٌ مستورٌ محجوب، لا يعلمه الإنسان إلا بعد صدور الفعل منه.

خرج النبي ﷺ مرةً مع أصحابه إلى البقيع في جنازة، فجلسوا فجلس وجلس الناس حوله وقال: «**ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ**»، فقالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ -أي تبادر إلى أذهانهم هذا الخاطر، أنه ما دام كل شيء مكتوب مفروغاً منه مَقْضِيًّا فلماذا لا نتكل على الكتاب السابق والقدر الأول، ونَدَعُ العمل؟- فقال النبي ﷺ: «**اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ [الليل: 5-10] وهذا جوابٌ مُطْمِئِنٌّ مُقْنِعٌ عند كل عاقل مُنصف، فلا حجة لأحد بقدر الله على معصية الله.

ولهذا نجد أن هؤلاء لا يحتجُّون بقدر الله على أمورهم الدنيوية، فلو قيل لأحدهم: دع عنك طلب الرزق والضرب في الأرض، وما قُسم لك سيأتيك! لم يقبل بهذا ولا قام في صباح كل يوم بارد أو في نحو الظهيرة في كل يوم صائف ليطلب رزقه، ولم يتكل على القدر السابق.

ونختم هذا الدرس بالجواب عن هذا السؤال الذي يكثر طرحه، هل الإنسان مُسَيَّرٌ أم مُخَيَّرٌ؟

والجواب أن يقال: ليس مُسَيَّرًا بإطلاق ولا مُخَيَّرًا بإطلاق، والجواب الصحيح أن نقول: مُيَسَّرٌ لأن الله تعالى قد قال: ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾، ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾، وقال نبيه ﷺ: «**اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» [البخاري: 4949]، فهو لفظ لا يقوم مقامه غيره، فينبغي أن نعتصم بالكتاب والسُّنة، ففيهما العصمة والغناء والكفاية.